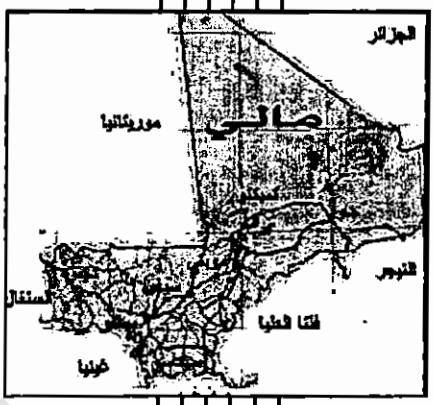

التنشئة الاجتماعية والمعتقدات في مالي

الفصل الرابع

التنشئة الاجتماعية عند البمبارا

obeikan.com

obeikan.com

تمهيد :

تعرضنا في الفصل السابق للمعتقدات التقليدية عند البمبارا وارتباط تنشئه الأطفال بهذه المعتقدات، وتعرفنا علي الأسرة وطقوس الزواج التى كانت متبعة قبل الإسلام . وفي هذا الجزء نرى تنشئة الأطفال عند البمبارا، ومراحل الطفولة ، ومؤسسات التنشئة الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية ، خاصاً وإن أهم مايميز هذه القبائل هو تمسكهم بالعادات والتقاليد والمعتقدات التقليدية ، وأنة بعد دخول الإسلام تم تطويع بعض من هذه العادات لتتمشي مع الدين الإسلامى ، وتتضح مظاهر هذا التمسك بهذه العادات في تربيه الأطفال .

أولا : مراحل الطفولة :

تنقسم مرحلة الطفولة إلى المراحل التالية :

أولا : الرضيع Babyhood

وهي من عمر أسبوعين إلى عامين و تسمي فترة الرضاعة .

قال الله تعالي: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾سورة البقرة : آية ٢٣٣.

﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ﴾ سورة الأحقاف:آية ١٥ » .

قال رسول الله ﷺ : « لا رضاعة إلا ما كان في الحولين ».

تعتبر مرحلة الرضاعة من أهم مراحل الطفولة وعلي الرغم من أن هذه المرحلة لا تكون كلها رضاعة إلا أن التسمية تطلق علي الرضيع حتى سن سنتين . وهذه المرحلة تعتبر مرحلة اكتشاف العالم الخارجي وتوسيعه فهي مرحلة انطلاق القوى الكامنة ومرحلة الإنجازات الكبيرة حيث تشهد نموا جسميا سريعا وتأثرا حسيا حركيا ملحوظا في السيطرة علي حركات الجلوس والوقوف والحبو والمشي وبداية تعليم الكلام واكتساب اللغة والاحتكاك الاجتماعي بالعالم الخارجي والتنشئة الاجتماعية ويتم فيها

الفطام وفيها تنمو الذات ويتكون مفهوم الذات الذي يعتبر النمو الأساسي للشخصية .

في هذه المرحلة يجب مراعاة :

* عمل علي وقاية الأطفال من الأمراض وتنمية المناعات المختلفة لديهم وتحصينهم وتطعيمهم ضد الأمراض المعروفة في الطفولة .

* ويد الأطفال بالتغذية الملائمة .

* سير الخبرات للتعليم والحياة الصحية في المنزل والمجتمع .

* اتصال الاجتماعي يزيد المحصول اللغوي ويزيد من فهم طبيعة التفاعل الاجتماعي .

* رعاية النمو الاجتماعي والإيجابية في التنشئة الاجتماعية للطفل في ضوء المعايير الاجتماعية والقيم السائدة في المجتمع .

* إقامة رابطة بين الوالدين والرضيع علي أساس متين من الحب المتبادل .

*تجنب القلق بخصوص حب الاستطلاع بالأعضاء التناسلية .

*تجنب الجزع إذا لوحظ لعب الرضيع بأعضائه أو مص أصابعه كل ما يجب عمله شغل اليدين[1]

الوسائل التقليدية للطفل الرضيع :

تحدد كل ثقافة بعض الوسائل التقليدية لتربية الطفل الرضيع فنجد أن الطفل في بعض الثقافات يوضع عندما يصرح ويسمح له أن يستغرق الرضاعة الوقت الكافي الذي يحلو له ويلاعبه عدد كبير من أفراد الأسرة ويسمح له بقدر كبير من الحرية في الحركة[2] .

---

(١)حامد عبد السلام زهران – علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة) – عالم الكتب – القاهرة – ط٥ – ١٩٩٥ – صـ ١٤٩ .

(٢)محمد الجوهري – الانثروبولوجيا « أسس نظرية وتطبيقات عملية » دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ٢٠٠٥ ص ١١٠

تجد ثقافات أخرى أن الطفل لا يرضع إلا في أوقات محددة وتستحثه الأم في أثناء الرضاعة وقد لا يترك وحيدا في فترات ما بين الرضعات وربما يربط بأحكام في مكانة بحيث تقييد حركة زراعية ويرفع من مكانه فقط كل يوم للنظافة وكلما ينمو الطفل تتنوع بنفس الشكل أساليب معاملته ويعتقد الكثيرون أن هذه الفروق في أساليب المعاملة لن تترك آثارها البالغة في ارتقاء شخصية الطفل .

التنشئة الاجتماعية للطفل الرضيع ويبدأ تدريجيا في معرفة بعض عناصر بيئته وإذا لم تكبله قيود معينة فإنه يبدأ في وقت مبكر في تحسس أجزاء جسمه وإمكانها وأيضا ذلك الجزء من البيئة الخارجية الذي يستطيع أن يراه ويلمسه ، كما ينصرف الطفل الرضيع إلى بعض الأفراد ويدرك الفرق بينهم فيما يتعلق بعلاقتهم به ، من الممكن أن يتعرف إلى الأب علي أنه الشخص الذي يداعبه وليس الشخص الذي يطعمه كما يجرب أحباله الصوتية بإصدار أصوات مختلفة وكلما اقترب من مرحلة الطفولة يبدأ في معرفة بعض الأصوات التي ترتبط ببعض المعاني في استخدام الأشياء التي يستطيع الوصول إليها أو التي يقدمها له الآخرون[1] .

ثانيا : الطفولة المبكرة Early Childhood (٣ – ٦ سنوات)

قبيل المدرسة هذه هي مرحلة قبل المدرسة وتمتد من نهاية مرحلة الرضاعة حتى دخول المدرسة ويفضل البعض اسم مرحلة الطفولة المبكرة علي اسم مرحلة قبيل المدرية إذ تستقبل دور الحضانة ورياض الأطفال فيما بين سن الثالثة والسادسة تقريبا .

تكون نمو الشخصية في هذه المرحلة سريعا وهناك الكثير علي الطفل أن يتعلمه وتتميز هذه المرحلة بمميزات عامة منها استمرار النمو بسرعة ولكن أقل من سرعته في المرحلة السابقة والاتزان الفسيولوجي والتحكم في عملية الإخراج وزيادة الميل إلى الحركة والشقاوة ومحاولة التعرف علي البيئة المحيطة والنمو السريع في اللغة ونمو ما اكتسبه من مهارات وتكوين المفاهيم الاجتماعية[2] .

---

(١)المرجع السابق ص ١١٣ – ١١٤

(٢)محمد عبد القادر عبد الغفار وآخرين – سيكولوجية النمو – جامعة حلوان – كلية التربية – بدون سنة نشر – صـ ١٣٧ – ٢٠٨ .

في هذه المرحلة يجب مراعاة :

- مساعدة الطفل في تكوين عادات نوم صحيحة .

- تعليم الطفل متى يأكل وكيف يأكل وماذا يأكل .

- خطورة إرهاق الطفل بنشاط حركي فوق طاقته .

- تحويل النشاط الحركي الزائد والاستفادة منه في وجهات نافعة .

- تشجيع الطفل في دار الحضانة علي الرسم والمسك بالقلم واستخدام الورق والمقص والأشغال اليدوية .

- الاهتمام بحكاية القصص للأطفال بهدف التدرب علي الكلام مما يساعد علي النمو اللغوي .

- رعاية النمو اللغوي وتقديم النماذج الكلامية .

- توفير الشعور بالأمن والثقة والكفاية والانتماء والسعادة عند الطفل .

- خطورة العقاب خاصة العقاب البدني .

- توفير الجو الاجتماعي الصديق وإشباع حاجة الطفل إلى الرعاية .

- الاهتمام بتحسين العلاقة بين الوالدين .

- توجيه الطفل ليدرك معني المجتمع وتقوية الميل الاجتماعي عنده وتعليمه المعايير الاجتماعية السليمة

- تعليم الطفل القيام بالدور الاجتماعي الذي يتناسب مع هذه المرحلة .

- تعويده احترام الكبار وأدوارهم وأدوار الآخرين وتشجيعه علي تحمل المسئولية بالتدريج .

- الإجابة السليمة عن الأسئلة الدينية للطفل بما يتناسب مع عمره ومستوي فهمه وإدراكه[1] .

(١) حامد عبد السلام زهران – مرجع سابق – صـ ١٩١ .

- بداية اكتساب المعايير الدينية كالحلال والحرام خلال عملية التنشئة الاجتماعية .

- يتأثر الشعور الديني بالتفكير والتخيل ولا يأخذ الشعور الديني صورة معنوية إلا في مرحلة متأخرة من النمو .

- التصور الديني لدي الطفل الصغير مثل تصور الرجل البدائي ملئ بالملائكة والشياطين .

ثالثا : الطفولة الوسطي : Middle Childhood (٦ – ٩ سنوات) المرحلة الابتدائية – الصفوف الثلاث الأولي

- يدخل الطفل في هذه المرحلة المدرسة الابتدائية إما قادما من منزله أو دار حضانة أو روضة أطفال .

تتميز هذه المرحلة :

- اتساع الآفاق العقلية المعرفية وتعلم المهارات الأكاديمية في القراءة والكتابة .

- تعلم المهارات الجسمية اللازمة للألعاب وألوان النشاط العادية .

- اطراد وضوح فردية الطفل واكتساب اتجاه سليم نحو الذات .

- اتساع البيئة الاجتماعية والخروج العقلي إلى المدرسة والمجتمع والانضمام لجماعات جديدة واطراد عملية التنشئة الاجتماعية .

- توحد الطفل مع دوره الجنسي .

- زيادة الاستقلال عن الوالدين[1] .

في هذه المرحلة يجب مراعاة :

العناية بالتغذية في المنزل والوجبات المدرسية المستوفاة للشروط الصحية الاستمرار في تعليم الطفل متى وكيف وماذا يأكل بحيث يختار غذائه المناسب المتكامل في حرية تامة .

(١)محمد عبد القادر عبد الغفار وآخرين – مرجع سابق – صـ١٥٩ .

الاهتمام بعادات النوم السليمة .

رابعا : الطفولة المتأخرة Late Childhood (٩ – ١٢ سنة) المرحلة الابتدائية – الصفوف الثلاثة الأخيرة .

يطلق البعض علي هذه المرحلة قبيل المراهقة Preadolescence وهنا يصبح السلوك بصفة عامة أكثر جدية في هذه المرحلة التي تعتبر مرحلة إعداد للمراهقة .

تتميز هذه المرحلة بما يلي :

- بطء معدل النمو بالنسبة لسرعته في المرحلة السابقة والمرحلة اللاحقة .

- زيادة التمايز بين الجنسين .

- تعلم المهارات اللازمة لشئون الحياة وتعلم المعايير المختلفة والقيم وتكوين الاتجاهات والاستعداد لتحمل المسئولية وضبط الانفعالات .

- هذه المرحلة تعتبر أنسب مرحلة لعملية التطبيع الاجتماعي .

في هذه المرحلة تطرد عملية التنشية الاجتماعية فيعرف الطفل المزيد عن المعايير والقيم والاتجاهات ويهتم بالتقييم الأخلاقي للسلوك .

يزداد تأثير جماعة الرفاق ويكون التفاعل الاجتماعي مع الآخرين شديد .

يبدأ تأثير النمط الثقافي ووسائل الأعلام والخلفية الثقافية للأسرة والطفل والطبقة الاجتماعية التي تنشأ فيها نموه الاجتماعي .

يميز الشعور الديني في هذه المرحلة « الاجتماعية » حيث يتأثر الطفل بالبيئة الاجتماعية التي يتربى فيها ويأخذ السلوك الديني وأداء الفرائض شكلا اجتماعيا .ويصبح الدين بذلك وسيلة من وسائل التوافق الاجتماعي وتلعب التنشئة الاجتماعية دورا هاما في هذا الصدد [١] .

لكل ثقافة طريقتها الخاصة في عملية تقسيم مراحل الطفولة ، وعلى الرغم من أن

(١)حامد عبد السلام زهران – مرجع سابق من صـ ٥٦٢ ، ٢٧٦ ، ٢٨٤ .

العديد من تلك المراحل لا يتم تسميته بأسماء معينة ومحددة فإنه يتم معرفتها والتحدث عنها عن طريق معرفة السلوك والأفعال المرتبطة بكل مرحلة عمرية معينة[1].

إن مراحل نمو الطفل عند البمبارا لا ترتبط بشكل مباشر بالعمر الزمني ، فالطفل يتم وصفه والتحدث عنه عن طريق نموه وتطوره . ومن تلك الأوصاف أنه يسير أو يمشي أو هو يتحدث ، إنه لديه أسنان ، أنه يعرف كيف يقوم بحمل رسالة معينة يعني أنه مسئول فالطفل يتم النظر إليه على ما هو عليه في الوقت الحالي وليس على ما يجب أن يكون عليه في عمر معين .

عند سؤالي لأحد الإخباريين عن سن الفطام قال لى : أن الطفل يظل يرضع من ثدي أمه حتى يتمكن من المشي « وعند سؤال أكثر من أم ومحاولة لحساب سن أطفالهن وجدت أن الطفل يظل يرضع من ثدي أمه إلى سن سنتين وثلاث سنوات ، إذن مراحل الطفولة ليست متماثلة في كل المجتمعات ولكنها تختلف من مجتمع لآخر .

- ويطلق على حديث الولادة إلى سن أربعة وخمسة شهور يطلق عليه ديرن Deyern
- أما Den فهو طفل من سن الخمسة شهور إلى سن المشي (سن سنتين) .
- ومن سن سنتين إلى ست سنوات يطلق علية ديمساني (Demiceni) .
- تطلق الأسماء السابقة على الأطفال في مراحلها المختلفة ذكراً كان أو أنثى .

ثم تبدأ الأسماء في الاختلاف بين الولد والبنت من سن ٩ سنوات إلى سن ١٢ سنة حيث يطلق على الولد اسم كمالني أو فوناكنى(Kemaleni أو Fonakeni) ، أما البنت يطلق عليها بوتيكنى أو سوكورونى (Botikini أو Soukourouni)

المتطلبات النفسية والاجتماعية للطفل الصغير :

هناك بعض الحاجات والمتطلبات الأساسية التي يجب أن يتم توافرها في أي مجتمع وتحت أي ظرف من أجل الحصول على نمو نفسي وصحي مكتمل للطفل هذه المتطلبات هي :

(1) ECCD)(Judith timyan - op - cit

الحاجة إلى الاتصال ، الأمر الذي يؤدي إلى خلق روابط قوية بين الطفل وأمه أو هؤلاء المربين الذين يعتنون به . كما يحتاج إلى بعض المحفزات الطبيعية والذهنية . وتوفير الأمان وإمكانية الاستكشاف لمعرفة الأشياء الجديدة لكي يلعب[1] بحرية .

هذه المتطلبات الأربعة عامة ، وغالبا تجدها في العديد من المجتمعات ربما تختلف من مجموعة لأخرى وهذا مايحدث في إفريقيا الحديثة ، فإنه مع التغير السريع الذي يحدث في التوقعات والأهداف المختلفة وكما أن المجتمعات الاجتماعية تتغير بشكل مستو ويتم إعادة تعريفها بشكل مستمد فإن هذه المتطلبات الأربعة ربما لا يتم توفيرها بشكل مناسب ولكنها موجودة .

هذه المتطلبات تمثل مراحل في عمر الطفل ، فلنحاول أن تطبق هذه المتطلبات على مجتمعنا لنجد إلى أي مدى توجد هذه المتطلبات .

*** مرحلة الميلاد والرضاعة والطفولة المبكرة :**

إن أحد أهم الحاجات والمتطلبات الأساسية والهامة التي يحتاجها الطفل الصغير هي الاتصال والربط المبكر بينه وبين أمه أو مع من يقوم برعايته في هذه السن المبكرة، هذه العلاقة الأولى هي التي تعطي الطفل الإحساس بالأمان والثقة في الآخرين.

إن الاتصال يمكن تعريفه بأنه الرابطة النفسية القوية أو القريبة التي تربط ما بين الطفل وأمه التي تنشأ بسبب الرعاية المستمدة والنابعة من الأم لأبنائها وتبادل العاطفة والمحبة .

ولقد وجد كتابات عديدة تناولت مدى القرب ما بين الأم وأبنائها ومدى قوة الرابطة التي تربط بينهم وخاصة في المجتمعات الإفريقية ، وبالنظر في مجتمعات بمبارا وجدنا أن :

* الرضاعة عند الطلب ، النوم معا ، عادة اتصال بشرة الأم ببشرة الطفل في السنة الأولى من العمر ، التواجد الدائم والمستمر والثابت للأم أمام طفلها عندما يحتاج إليها

(1)Early childhood counts : programming of Early childhood early and development ، (1999) world bank

حتى وفي أثناء عملها سواء في الحقل أو المنزل فهي تعمل بيدها وطفلها مربوط على ظهرها طول الوقت حتى إنهم يقولون هناك « مؤخرة الأم دواء للطفل » هذه العلاقة القوية والملتصقة بين الأم وطفلها لا تبدأ منذ الميلاد ولكنها تبدأ بعد أسبوع من الميلاد وذلك لعدة اعتقادات لديهم .

أولا : أن الطفل بمجرد خروجه إلى الحياة يوضع في جانب معين على قطعة من الحصير أو القماش بينما تظل الأم لا تعطي الكثير من الاهتمام إلا بعد أن تتخلص من الخلاص ، ويتم اعتبارها قد عبرت مرحلة الخطر ، ومن هنا نبدأ في الاعتناء بطفلها .

من الملاحظ أن ترك الطفل بهذه الطريقة من الممكن أن يعرضه لمشاكل صحية قد تؤدي بحياته ، حيث وجدت أطفال توفوا بسبب تركهم عراة في مكان مكشوف وخاصة من يولد ولديه متاعب في التنفس، ويظلون هكذا إلى أن تعبر الأم مرحلة الخطر وهي التخلص من الخلاص .

ثانيا : أن عملية الولادة في هذا المجتمع وما يماثله عملية بها مخاطر كثيرة على المرأة . فعملية الولادة بالرغم من أنها مرغوبة ومطلوبة ويتم الاحتفال بها ألا إنها تخلو من المتاعب والصعوبات والخطورة، كما أن الطفل الوليد ينظر إليه على أنه مازال غريباً لم يفز بقبول أو رضا الطبيعة إلا بعد أن يجتاز هذه المرحلة .

ثالثا : هذا الطفل حديث الولادة يأتي من عالم آخر يسكنه الأسلاف والأرواح والأجداد وغير المولودين بعد ، وقد تمت ولادته حديثا ومن خلال بكائه وصراخه هذا ينقل رسالة من العالم الآخر إلى أحد أفراد العائلة وقد يكون هذا الطفل قادرا على جلب الحظ السيئ أو الحظ الحسن حسب ما يوجد في المجتمع متزامن مع ولادة هذا الطفل ، ويكون ذلك في شكل أمراض خطيرة أو موت أو غيرها من المصائب[1] .

إن الأيام الأولى من حياة الطفل أيام لطيفة وفرحة ، ولقد فزعت مجموعة أن الأسلاف أو الأرواح من الممكن أن تستدعيه في أي وقت وبعد مرور تلك المرحلة يكون هناك احتفال و بعد مرور الأسبوع الأول ويتم فيها تسمية المولود وبعد قبول الطفل بشكل رسمي في ذلك المجتمع يبدأ في شراء بعض العطور والبودرة وبعض

(١) ميداني ٧ – ٢٠٠٩.

القلائد وذلك من أجل الحفاظ على الطفل في صحة جيدة .

نجد أن أحسن الملابس تأتي له وتمنح الأم راحة من كل الأعمال والأعباء أربعين يوما لتحصل على الغذاء والنوم وتكون بالقرب دائما من طفلها ، بالرغم من أنها تظل تعمل في الحقل والمنزل أثناء فترة الحمل إلى آخر يوم في الحمل قبل الولادة مباشرة .

• ذكرنا سابقا أن الطفل يرضع في أي وقت وينام مع أمه ، وذكرنا أيضا رفض الجماع الزوجي ، ذلك لأن هذا يؤدي إلى تغير واختلاط في لبن الأم مما يؤثر على الطفل الرضيع بشكل كبير ويسبب له المرض الشديد .

إن عملية إرضاع الطفل بشكل مستمر وطوال الليل ونوم أمه معه لها تأثير مباشر على طبيعة النوم لدى الطفل ، فنجده عندما يكبر يفضل النوم قريبا من شخص ما ولا ينام بمفرده

الفطام : نجد أن الأم تتخذ هذا القرار ما بين ليلة وضحاها ، حيث يتم إبعاد الطفل عن والدته بمجرد اتخاذ القرار بفطامه ، وبعض الأمهات تعطي الطفل مواد لاذعة مما تجعل الطفل ينفر من ثدي أمه ويترك بعد ذلك مع إخوته وعندما يشعر بحاجته للطعام يعطوا له قطعة من الطعام ويتركوه لكي يتناولها بمفرده ، ويترك بعد ذلك مع أخوته لكي يتناولوا الطعام من طبق واحد ، فهذا يدفعه إلى محاولة الحصول على الطعام وتقليد إخوته ، فهو هنا لا يعطونه طعاماً خاصاً بالفطام كما يحدث في مجتمعات أخرى وإنما يعطوا له نفس طعام الكبار .

*** النمو الحركي للطفل خلال العامين الأولين من عمره في مجتمع البمبارا :**

أشهر الدراسات التي تناولت موضوع حركة الطفل والتعامل معه في هذه المرحلة هي دراسة Hopkins فلقد قام بتعريف التعامل أو التناول holding بأنه التعامل عن قرب وبإحساس مع الطفل والوضع الذي يكون عليه وأيضا مع الاستجابات الحركية والسلوكية لذلك الطفل من خلال مدى التقارب ما بين جسد الطفل وأيدي من يتعامل معه ويعطيه الرعاية[1] .

(1)Bril ، Blandine & Sabatier ، Colette(1989).»The cultural content of motor development : Postural main pulations in the daily life of Bamabara babeis (Mali) ، international journal of Behavioral development P.P. 439 – 453 . P. 440

وقد قام Hopkins بتعريف أنواع مختلفة من التعامل أو التبادل للطفل :

التعامل الفعال والسلبي (التعامل الرسمي والغير رسمي)

فالتعامل السلبي أن يحرك الطفل عن طريق من يعتني به من خلال النساء ، والتحريك للطفل والتعامل الإيجابي يحتوي على بعض الحركات والأفعال التي تسهل وتحفز الطفل على الحركة البدائية دون مساعدة كبيرة فإنها تشير إلى تلك المعرفة المكتسبة لدي من يقوم بالعناية وهي متخصصة فيها للثقافة .

الأوضاع التي يخضع لها الطفل حديث الولادة من الميلاد إلى ٦ شهور في مجتمع البمبارا في سياق ثقافة البامبارا التقليدية هي :

مستلق – جالس – واقف و يتم التعامل معها يوميا .

- أوضاع أخرى يتم التعامل معها من خلال العناية من قبل الأم أو من ينوب عنها.

هناك أوضاع أربعة رئيسية خلال فترة النهار وهي : مستلق علي ظهره وهي تقريبا نادرا ما تحدث ، الجلوس شبه عمودي ، الجلوس وهو مستقيم الظهر ، والوقوف ، من الملاحظ أنه بعد أن تعود الأم إلى العمل بعد أربعين يوما فإنه نادرا ما نجد الطفل موضوعاً أو ملقى على حصير أو على أحد الأسطح كما أن فترة الجلوس شبه عمودي يحاولون الإقلال منها مع زيادة الفترة التي يستغرقها في الوضع الجالس مستقيم الظهر أما عند الشهر السادس فأن الفترة التي يستغرقها الطفل للوقوف تزداد .

عملية حمل الطفل على الظهر : صور رقم (١٦، ١٧)

مع بداية ممارسة الأم لأنشطتها تستغرق ٤٠ ٪ أو ٥٠ ٪ من الوقت نلاحظ وضع الطفل في الحمالة أو العلاقة خلال الشهرين الأولين من عمر الطفل ، ومن أن لآخر تقوم الأم بحمل طفلها على فخذها لمدة ٣ – ٤ ثوانى ، فقط يظل هكذا إلى أن يصبح قادراً على الجلوس بشكل مستقيم عند حوالي الشهر الخامس . هناك مجموعة من الأفعال المتكررة والمواقف من بداية عمر الطفل إلى ثلاثة أشهر في أغلب الأحيان تقوم

بها الجدة وهذا يطلق عليه التعامل الرسمي وهذا يمكن رؤيته في ثقافات كثيرة[1] .

يتم شد الأطراف بعد كل حمام والطفل مبلل الجسد ، يبدأ من يعتني به وهو الغالب الأم بشد الأطراف العليا والسفلى ابتداء من الذراعين ثم القدمين ، الهدف من ذلك زيادة قدرة الطفل على الحركة ، ويوجد عمليات شد أخرى غير التى تتم أثناء الاستحمام وهي تعليق الطفل من ذراع واحد وتحريكه واهتزازه حوالي ٤ ثوان ، ثم تعليق الطفل عن طريق القدم ، تعليق الطفل عن طريق الرأس .

* أن عملية تعليق الطفل من الذراع هي التي تتم بشكل يومي تقريبا ، حيث يتم حمله من مكان لآخر باستخدام الحمل من الذراع ويتم استخدام مثل هذه الطريقة مع الطفل حتى عمر ١٨ – ٢٠ شهر .

* أما الاهتزاز فلا يقصد لذاته ، ولكن يحدث مثلا عندما يبكي الطفل أو عندما تكون الأم حاملة له وتقوم ببعض الأشياء .

* أما عملية وقوف الطفل فهو يتدرب عليها مبكرا من قبل تدخل الآخرين ، يتم وهذا خلال الشهرين أو الثلاثة الأولى يعملوا على تعليم الطفل على الوقوف والعمل على تثبيت قدمه علي الأرض .

إن وضع الطفل شبه جالس يحدث منذ الميلاد إلى عمر شهر واحد ، حيث يبدأ الطفل في شبه الجلوس أثناء الرضاعة وأثناء الاستحمام في زاوية ٤٠ – ٤٥ ، درجة وبعد أن تصبح الرأس أكثر ثباتا يبدأ في وضع الجلوس .

* في وضع الجلوس يبدأ الكبار في وضع استراتيجيات للتأكيد على ثبات الرأس والجذع وتأمين الطفل في حالة وقوعه على الأرض حتى لا تصدم رأسه .

* من الأوضاع الشائعة في التعامل مع الطفل أثناء لعب الكبار معهم أن يقوم الشخص البالغ بالإمساك بالطفل من المنطقة التي تحت ذراعيه أي منطقة القفص الصدري(تحت إبطيه) في وضع الوقوف لتقوية عضلات الجذع والرقبة .

* من الأوضاع الشائعة أيضا أثناء عملية تدريب الطفل على استخدام الحمام هو أن

(1)International journal of Behavioral Development P.P. 439 – 453 (op-cit)

يقوم الطفل بالجلوس على حجر الشخص البالغ ، وهذا أيضا يعمل على تقوية عضلات الطفل[1].

إن تلك الأوضاع التي يتم الإمساك بالأطفال بها والتعامل معهم من خلالها في مجتمع البمبارا كثيرة ومتنوعة و كل هذه الممارسات والطرق التي يتم تطبيقها في رعاية الأطفال هي تعليم لهؤلاء الأطفال مهارات أساسية ، ومن الملاحظ أن الطفل يستجيب ويتفاعل تبعا للوضع الذي يكون عليه ، وعملية نمو النشاط الحركي للطفل تتنوع وتختلف تبعا لوضعية الطفل سواء كان ملقى على ظهره أو شبه جالس ولابد من معرفة أنه مع زيادة نمو الطفل فإن ممارسات وطرق الإمساك به تختلف من مرحلة إلى أخرى.

الإثارة والتحفيز في مرحلة الطفولة :

إن طريقة التعامل مع الطفل والإمساك به تتضمن على الكثير من المثيرات أو المحفزات الحسية ، فعملية حمل الطفل على ظهر الأم مع وجود تلامس بين بشرة الأم والطفل هذا الأمر يحتوي على العديد من أنواع المحفزات ، حيث نجد أن هؤلاء الأطفال عندما ينفصلون عن أمهاتهم يقومون بالنوم بالقرب جدا من أحد أفراد العائلة على نفس النمط الذي كانوا عليه مع أمهاتهم .

كما أن حمل الطفل بالحمالة بالطريقة التي يحملونه بها على ظهر الأم والانتقال به من مكان إلى آخر يمثل أحد أشكال الرعاية بالطفل حيث أن الطفل عندما يكون شديد البكاء والصراخ يتم حمله بهذه الطريقة من أجل تهدئته ، كما أن الاستحمام من عمليات الشد والمساج يؤدي إلى زيادة وتحفيز النمو النفسي والحركي للطفل

أما عن المتغيرات والمحفزات الذهنية فإن الطفل كلما صار أكبر كلما زادت قدرته على الوعي وزادت حاجاته وتطلعاته إلى الاستكشاف ومحاولة معرفة كل جديد حوله .

التنشئة الاجتماعية في هذه المرحلة :

هناك ثلاثة مجالات تتم من خلالها عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال مبكرا ، وهذه المجالات هي :

(١)ميداني .

(١) **الاحترام والطاعة** : يوجد اهتمام كبير وتأكيد على تعليم الأطفال كيف يصبحون مطيعين وأجريت مقارنات في الثمانينات ما بين المجتمعات الإفريقية وبين العديد من الأماكن حول العالم من حيث الاختلاف في طبيعة التنشئة الاجتماعية ، حيث وجدت الدراسة أن المجتمعات الإفريقية تختلف عن أي مكان آخر حول العالم في عملية التنشئة الاجتماعية من حيث أمرين هما : تعلم الطاعة وتعلم سلوك المسئولية ، إن غالبية الآباء الذين تمت مقابلتهم يذكرون أن الطفل الذي يسأل العديد من الأسئلة ويدخل في العديد من المناقشات والحوار مع الكبار سيئ الأخلاق ، فالطفل الصغير يتعلم فقط أن يقوم بتنفيذ ما يطلب منه بدون أن يسأل عن تفاصيل أو توضيح لما يطلب منه ، وهذا طبيعي من حيث أن طبيعة الأسر هناك طبيعة الحياة الاجتماعية من منطلق كبير الأسرة له مكانة عالية ويتدربون على احترام الكبير ، وبما أن الأطفال الصغار تنشأ وسط هذا المجتمع ويقومون بتقليد الكبار فلابد أن ينشئوا على الطاعة ومساعدة الآخرين وتحمل المسئولية

إن الطفل أول ما يستطيع المشي يتم تكليفه بأداء أولى المهمات ويتدرب عليها مثل توصيل شئ لأحد الأفراد أو نقل أحد الأدوات من مكان لآخر أو إحضار شئ من مكان ما، الغرض تعليم ذلك الطفل طاعة الأوامر التي توجه إليه . أما عندما يتكلم فيتم تكليفه بنقل رسالة معينة لشخص في مكان آخر أو في منزل آخر وهذه مرحلة أصعب بالنسبة للطفل .

(٢) **التبعية والاستقلالية** : هذا المجتمع وغيره من مجتمعات غرب إفريقيا تهتم بشكل كبير وتضع الكثير من قيمها على سلوك التبعية فهم لا يشجعون الاستقلال الاجتماعي .

حيث أن من الشائع أن نجد هؤلاء الناس عاشوا ونشئوا في مجتمعات زراعية صغيرة أن يكونوا متعاونين في علاقاتهم حيث أن تلك العلاقات التي تعتمد على التبعية وعدم الاستقلال هي التي تعمل على نقل وانتشار الثقافة .

نجد في هذا الموضوع أن الأطفال أكبر سنا مسئولين عن أقرانهم الأصغر منهم وهذا يولد لديهم إحساس بالتبعية لأنهم يكونون تحت رعاية من هم أكبر منهم سنا . كما يولد عند الكبار الإحساس بالمسئولية وذلك تجاه من هم أصغر منهم من أخواتهم ، وهذا

عكس ما نجده في المجتمعات الغربية الحديثة ، ففي ثقافة هذه المجتمعات الحديثة نجد وضع خط فاصل ما بين كونك طفل وكونك بالغا ، حيث أن الأطفال لديهم مهامهم الخاصة بهم ، طعامهم الخاص وثقافتهم الخاصة بهم وكلها أمور تختلف عن تلك التي تخص الكبار البالغين

(٣) مهارات الاتصال (التواصل) : من الحالات ذات الأهمية الكبيرة عملية تدريب الأطفال بشكل جيد على اللغة كوسيلة للاتصال فكان، من الملاحظ من قبل العديد من الباحثين أن الثقافات الإفريقية التقليدية تحرص فيها كل من الأم والأب وباقي الكبار الآخرين في المجتمع لا يحاولون القيام ببذل مجهود وافي في الحديث مع أطفالهم بغرض تعليم هؤلاء الأطفال كيفية الاتصال أو التواصل مع الآخرين وهذا يمكن أن يكون السبب الرئيسي الذي يجعل هؤلاء الأطفال غير قادرين على الأداء بشكل جيد ليس في المدارس فقط ولكن أيضا في المواقف التي تحتاج من هؤلاء الأطفال أن يقوموا بالتعبير عن أنفسهم أو يتحدثون مع غيرهم من الكبار[1] أن الأطفال لا يتعلمون من الكبار لغة يتكلمون بها فهي ليست لغة تخاطب أو لغة حوار تعليمي ولكنها عبارة عن أوامر . مجرد أن يتعلم الطفل المشي والكلام يبدأ في أخذ الأوامر من كل من هو أكبر منه ، فهم يتعلمون كيفية القيام بالأمور العملية والتدريب العملي وذلك من خلال المشاركة المستمدة والنابعة من الحياة مع الكبار وحضور المناسبات الاجتماعية ، وهذا يكسبهم خبرة في التعامل العملي مع الآخرين . فنجد أن الطفل البمباري مجرد أن يبلغ ٦ سنوات يخرج إلى العمل مع والده ، والفتاة تبدأ في العمل في المنزل مع والدتها ومساعدة أخواتها .

يتضح لنا هنا أنه لا يوجد تقسيم واضح لمراحل الطفولة المتعارف عليه تنقسم إلى :

الطفولة المبكرة .

الطفولة الوسطي.

الطفولة المتأخرة .

(1) Judith Timyan (op-cit).

لا يوجد هذا التقسيم في مرحلة الطفولة عند البمبارا لأن الذي يحدد مرحلة الطفل إمكانيات وسلوكيات الطفل ولا يوجد تقسيم لها كما هو متعارف عليه .أى لا يوجد تقسيم لمراحل الطفولة وفقا للعمر الزمني .

نجد الطفل من بداية الحمل إلى سن ٦ سنوات في رعاية الأم والجدة والأخوات الكبار ، من بداية الحمل إلى العامين الأوائل نجده لا يفارق أمه ، أو الأصح من بداية الحمل إلى أن يمشي لا يفارق أمه وأحياناً جدته وبعد أن يتعلم السير يبدأ في الاختلاط بالأخوة والأخوات الأكبر سنا ويبدأ الكبار في إعطائه الأوامر والتوجيهات ثم بعد أن يتكلم تبدأ مرحلة أكثر صعوبة ويبدأ في التحرك خارج نطاق المنزل ويكلف بمهام للاعتماد على نفسه إلى أن يصل إلى ست سنوات يذهب إلى الحقل والزراعة مع والده والبنت تبقى في المنزل مع الأم .

ولا يوجد فرق هنا بين الولد والبنت ولكن يتم التفرقة في المهام التي تنسب إلى كل منهم ، أما معاملة الكبار أو الأم والأب فالكل سواء لديهم ، ولكن من الطبيعي أن يفضل الأب الذكور لمساعدته في الزراعة وتفضل الأم الإناث لمساعدتها في الشئون المنزلية « فالطفل هبه من الله ولا يجب لأحد أن يختارها وما يرسله إلينا الله يجب علينا قبوله » لكن الأسرة في النهاية لا تكتفي بأطفال ذكور فقط ولا ترضي بأطفال إناث فقط ، بل ترضي بالاثنين معا إلا أن ازدياد عدد الذكور في نفس الأسرة يمثل نوعا خاصا من المباركة والرضا النفسي

ومن الملاحظ أيضا في هذه المرحلة أنه لا يوجد أي نوع من التدليل للطفل ولا يوجد أي دور للأب إلا من سن ٥ ، ٦ سنوات ولا يوجد كلام كثير من الأب أو الكبار إلى الأبناء إلا في حالة إرشادهم أو توجيههم أو إعطاء الأوامر .

بعض المعتقدات التقليدية الخاصة بالأطفال في هذه المرحلة :

يرى كثير من البمبارا رجال ونساء أنه ليس ضروريا أن تختلف الشعائر باختلاف نوع المولود سواء كان ذكراً أو أنثى فكل المواليد ذات قيمة .

و طبقا للقول الشائع عندهم فأن « الطفل هبه لا يجب لأحد أن يختارها » بل يجب الترحيب به عندما يأتي ، ويؤمن جميع أفراد البمبارا بأن كل ما في الكون روح ، ولذا فإنهم

يستشيرون العرافات للتنبؤ بالمستقبل وكثير من الرجال يذهب أثناء حمل زوجاتهم ليعلموا أن كانت ستضع زوجاتهم بسلام وما هو نوع الجنين وهل سيرزقون بذكور عدة، بالرغم مما يقال عن مدى أهمية المولود إلا أن كل تصرفاتهم تشير اليى أنهم يفضلون الذكور .

أما غير المسلمين أي أصحاب الديانات التقليدية فأنهم يذهبون إلى الرجال الحكماء(العرافين) من القبيلة فيتكهنون بالمستقبل من خلال رموز معينة يمكنهم من خلالها رؤية المستقبل كالماء والأوراق وخلافه وبذلك يذكرون نوع الجنين ويسمى هذا الشخص الحكيم (**بالكوموتيجي بالبامبارا**) ولا يسمح لأحد أن يراجع أو يناقش أو يشكك في هذا الكوموتيجي .

البعض منهم لا يذهب إلى العرافات ولا إلى الكوموتيجي وإنما يعتقدون بأن هناك أدوية تقليدية كالأعشاب والجذور قد تستخدم في إمكانية ولادة الذكور ، كما أقرت بعض النساء بأن الاغتسال في مستخلص بعض النباتات النادرة قد يساعد في تيسير عملية الإنجاب ، كما يلجأ الكثيرون منهم للدعاء والصلاة ، إلا أنهم لا يفضلون الذكر على الأنثى أو العكس وإنما يريدون النوعين ، غير أن زيادة عدد الذكور في الأسرة يمثل نوعا من الرخاء والخير والبركة .

رغم عدم تفضيل أي نوع من المواليد إلا أن ما سبق بالإضافة إلى ما يحدث من احتفال بالطفل الجديد يوحي بأن الذكر هو الطفل المفضل ، فعند ولادة طفل ذكر يقوم الأب بذبح طير (غالبا الدجاج) يوميا لمدة سبعة أيام قبل مراسم التسمية ، كما أنه قد يكافئ القابلة عندما تخبره بهذا الخبر ، أما إذا كانت المولودة أنثى فقد يكتفي الأب بذبح طير ليوم واحد ، فقط كما أنه قد يتفوه ببعض العبارات التي قد توحي بعدم رضاه مثل « لو كان ذكراً كان أفضل » .

ولا يسمح للرجال بالحضور أثناء الولادة ، وطبقا لما يراه شعب بامبارا أنه من غير اللائق أن يتدخل الرجل في شئون الولادة أو يلح في معرفة نوع المولود ، فهو يتعرف على ابنه نظريا عندما يقدم الطفل لكبير العائلة وليس الرجل إلا أن يوفر الطعام المناسب لزوجته .

ينصب أكثر اهتمام هذا الشعب على التغيرات الحسية الملحوظة على الطفل ، ولديه اعتقاد شائع أن استطاعة الذكر الجلوس في سن ثلاثة شهور ، بينما الإناث في سن أربعة شهور ، برغم ذلك فقد حرصت مجموعة من السيدات كبار السن بأن ذلك لا يحدث قبل سبع أو ثمانية شهور ، ومن شدة إيمان هذا الشعب بالمشاركة الجماعية وتدعيم المهارات الجسدية فهم يلجئون إلى السحر والتعاويذ لكي تساعد الطفل على إكساب مهارات جسدية وحركية وتشجعه على الحركة والاتصال مع الآخرين ، فبعضهن تستخدم العناصر الطبيعية لبعض المزاعم السحرية ، فقد تستخدم بعض أنواع النباتات الشائكة في مياه الاستحمام بغرض تعجيل اكتساب المهارات ، كما أنه يوجد بعض أنواع الاغتسال التي تجهز خصيصا ويضاف لها بعض الأعشاب والأوراق النباتية بغرض حماية صاحبها من الأخطار المختلفة وشفائه من الجروح .

وترى بعض الأمهات أنه في حالة تقدم طفل عن طفل آخر في إحدى المهارات بأن هذه إرادة الله للطفل أن يتعلم وليس لأحد دخل فيها ، إذا حدث وتكلم طفل في عمر مبكر فإن هذا لا يلقى التشجيع والاستحسان ذلك لأن الطفل لا يتحدث إلا بعد أن يشرب الشراب التقليدي (Kono – nin – nin) كونو نين نين فيجب أن ينتظر اللحظة المناسبة . أما إذا تأخر الطفل عن أقرانه في الكلام فإن كبار السن الجدات فإنهم يقومون بفرك عش طائر يدعي ناكو Niko في فم الطفل فالطائر له دلالات عندهم حيث يعتقدون أنه طائر متكلم. أما مدة الرضاعة فهي تستمر إلى ثلاثون شهر ، ومن حق الطفل الأخير إطالة فترة الرضاعة عن أخواته الآخرين ، ومن حق كبير العائلة أن يتدخل إذا حاولت الأم فطام الطفل قبل هذا السن ، وقد أخبرنا كبير إحدى العائلات أيضا بأنه يجب على كل أم أن تعرف ما ستقدمه لطفلها أثناء عملية الفطام وبعده ، وعند سؤال إحدى الأمهات قالت : لا أستطيع أن أفكر أي نوع من الطعام أعطي لطفلي ، فأنا أتركه يأكل مع إخوته كما يأكلون فهو سعيد بذلك ويأكل وهم أيضا .

وقد لوحظ أنه لا فرق بين ما يرتديه هؤلاء الأطفال في السن الصغيرة بين الولد والبنت ، فالأم تلبسه ما تجده بالمنزل وقصات الشعر أيضا واحدة ، وتستمر ذلك إلى أن يصل إلى سن الخامسة فعندها يبدأ في أن يحذو حذو أبية وأخوته الكبار من الذكور ، والبنت تجاه والدتها وأخواتها الكبار من الإناث .

ما هو التافو[1]:

التافو هو تميمة تستخدم للكبار والصغار ، ولكنها شائعة الاستخدام للأطفال ، تستخدم إذا ما تأخر الطفل في المشي أو الكلام ، وتستخدم كحرز وحماية له من الخوف ، وهي عبارة عن خيط من القطن يقرأ عليه بعض الكلمات للغرض الذي تستخدم من أجله ، أما المسلمون فأنهم يقرؤون الآيات القرآنية ، أما وغير المسلمين فأنهم يقرؤون العبارات الخاصة بهم وتلف حول معصم الطفل أو حول الأرجل أو حول الوسط . أما عند الكبار فهي عبارة عن شريط من الجلد طويل ويوضع به قطعة من الورق ويكتب عليها بعض الآيات القرآنية إذا كان مسلماً وإذا كان وثنياً تكتب عليه العبارات الخاصة بالغرض الذي تستخدم من أجله، وتلف الورقة داخل شريط الجلد ويرتديه صاحبه إما حول الوسط أو اليد أو الأرجل . (انظر الصورة ١٩)

ثانياً : أشكال التنشئة الاجتماعية :

ذكرنا في الجزء النظري تعريف التنشئة الاجتماعية بأنها العملية الاجتماعية الأساسية التي يصبح الفرد عن طريقها مندمجا في حياة اجتماعية من خلال تعلم ثقافتها ومعرفة دوره في الحياة وأنها عملية مستمرة علي مدى الحياة.

وقد أوجزت فوزية دياب تعريفها للتنشئة الاجتماعية حيث عرفتها بأنها تحويل الفرد من كائن عضوي حيواني السلوك إلى شخص آدمي بشري[2] .

وقد لوحظ أن الإنسان في كل مكان ينتمي على الأقل إلى وحدتين اجتماعيتين :

(١) الأسرة : وهي أول جماعة اجتماعية يعرفها الطفل .

---

(١)الناقو للكبار مثل الحجاب الذي يستخدمه بعض المشايخ في القرى المصرية من أجل الوقاية من العين والحسد .

(٢)فوزيه دياب ، نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة – ط ٢ – النهضة المصرية – القاهرة ١٩٨٠،. فاروق محمد العادلي – عاطف أمين وصفي « مبادئ الأنثروبولوجيا » مدخل اجتماعي ثقافي ،– سنة ٢٠٠٣– ص ١٢٦.

أحمد أبو زيد « المجتمعات الصحراوية في مصر – القاهرة – ١٩٩٣ – صـ ٦١ .

(٢) المجتمع المحلي Local community : وهو في الغالب الوحدة الثانية التي يتعرف عليها الطفل بعد الأسرة والمقصود بالمجتمع المحلي أكبر مجموعة من الأشخاص الذين يعيشون معا ويقوم تعاملهم على أساس الاتصال الشخصي أي وجها لوجه face to face relation .

إن الأسرة والمجتمع المحلي هما الوحدتان الاجتماعيتان ذات الانتشار العالمي فهما الأساس الذي يعتمد عليه في تربية الأطفال في المجتمعات البسيطة وغير البسيطة وهي التربية غير النظامية (غير الرسمية ، غير المباشرة) هذه التنشئة أو التطبيع الاجتماعي هي عملية أوسع وأكثر تعقيدا من التربية أو التعليم بالمعنى الدقيق أو المفهوم الرسمي ككلمة ، لأن هذه التنشئة تشمل وتمتد إلى كل ما يساعد الفرد على اكتساب المواقف والاتجاهات والقيم السائدة في المجتمع من خلال اتصاله واحتكاكه بالآخرين .

عند دراسة التنشئة الاجتماعية والمعتقدات التقليدية الخاصة بها في مجتمع بمبارا وما يماثله من المجتمعات الزراعية البسيطة لابد لنا أن نأخذ في الاعتبار ما يأتي :

١- الوصف التفصيلي الدقيق لتفاصيل الحياة اليومية للفرد .

٢- أسس التربية الرسمية وغير الرسمية التي يخضع لها الطفل منذ طفولته المبكرة .

٣- دراسة دورة الحياة بالنسبة للفرد وأسس التمييز بين المراحل التي يمر بها بالإضافة إلى الحقوق والواجبات والمسئوليات والالتزامات التي تلقى على الفرد في كل مرحلة .

يقصد بالتنشئة الاجتماعية الممارسات والعادات التي يقوم بها أعضاء ذلك المجتمع محل الدراسة من أجل تنشئة ورعاية وتربية أطفالهم ، حيث أن تلك العادات والممارسات تكون متكاملة ومتوافقة مع طبيعة الحياة اليومية لذلك المجتمع ، وسوف نتحدث عن تلك الممارسات العامة التي يشترك فيها المجتمع ككل حيث إنها تظهر على أنها بعض الإجابات من المجتمع علي بعض المشكلات للتعامل مع الأطفال عند مرحلة عمرية معينة وفي ظل ظروف معينة في الواقع فإنها عبارة عن بعض الاستراتيجيات من أجل الاستجابة لحاجات ومتطلبات هؤلاء الأطفال والتي تحفزهم وتعمل على تطورهم ونموهم .

وهنا لابد من التركيز على جانبين على درجة كبيرة من الأهمية خاصة في مجتمع البمبارا وما يماثله من مجتمعات :

١- العوامل الطبيعية والاجتماعية التي يتم من خلالها تربية وتنشئة الأطفال .

٢- التوجهات والمعتقدات السائدة لدى هؤلاء الذين يقومون بتربية الطفل والعناية به وأيضا المعتقدات والتوجهات السائدة لدى جميع من حوله في المجتمع الذي سوف ينشأ فيه من الكبار والبالغين ونظرتهم إلى عملية العناية بالطفل[1].

(١) أثر البيئة الطبيعية في تربية الأطفال :

أن البيئة الطبيعية لمجتمع مثل البمبارا لها تأثير كبير وانطباع على بعض الممارسات في تربية وتنشئة الطفل نظرا لشدة الحرارة وارتفاعها ، وأنها من المناطق الحارة فأننا نجد النساء (الأمهات) والأطفال يرتدون ملابس خفيفة ، وكما رأينا طبيعة ملابس المرأة في مالي والبمبارا نظرا لشدة الحرارة وطبيعة عملها في المزارع وكما وجدنا فأنه يحدث اتصال مباشر وتلاقٍ ما بين بشرة الأم وجلد الطفل

حيث أظهرت بعض الدراسات أن تلك العملية من التلامس تقوم بخلق إحساس وروابط عالية جدا وتبادل لشعور الحنان والأمومة ما بين الأم والطفل مما يؤدي إلى خلق رابطة قوية بينهما .

كما أن طريقة حمل الأم لطفلها وهذه الطريقة أجبرتها عليها البيئة الطبيعية شدة الحرارة بالإضافة إلى طبيعة عمل الأم ، فإن عملية الحصول على الطعام تتطلب أن تقوم الأم بالعمل في الحر الشديد من أجل الحصول علي الطعام وتجميعه وزراعته وفي نفس الوقت تريد أن ترعى ابنها الرضيع في فترة الرضاعة مما يضطرها إلى ربطه خلف ظهرها كما يتضح ذلك في الصورة ، ولقد جعلت هذه الطريقة علاقة وثيقة بين الأم والطفل .

(٢) البيئة الاجتماعية :

للبيئة الاجتماعية أهمية كبيرة تفوق أهميتها البيئة الطبيعية ، حيث أن الروتين اليومي

(1) Judith Timyan » The cultural rative group on childhood care and development (ECCd) 1988 pp 1 : 25

للطفل يتم من خلال علاقته بالكبار من أعضاء الجماعة ، من خلال هذه العلاقة يتعلم الطفل اتباع أنماط السلوك المختلفة وأهمها السلوك الاجتماعي ، حيث يشاهد الطفل تصرفات الكبار ويلاحظها ثم بعد ذلك يقوم بمحاكاتها ، فمثلا في البمبارا يظل يسمع طوال اليوم العديد من عبارات التحية والسلام والتعامل بين الأشخاص ونظام التعامل بين الكبير والصغير وبين الطبقات المختلفة ويؤدي هذا بالطفل إلى التعلم وهو في سن مبكرة جدا كيف يقدم التحية ويتعلم بعض أساليب التعامل مع الآخرين .

وتمثل البيئة الاجتماعية للطفل وسطاً غنياً جداً سواء بالناس أو المواقف اليومية التي تعمل على إكساب الطفل المهارة والخبرة بالإضافة إلى الوالدين ، وعلى الكبار والبالغين أن يتحملوا مسئولية تصحيح ما يفعله من أخطاء ويعملوا على تشجيعه .

(٣) أثر المعتقدات في تربية الطفل :

عند دراسة تنشئة الأطفال في مجتمع بسيط مثل مجتمع الدراسة فإنه لابد من معرفة التوجهات والمعتقدات السائدة لدى هؤلاء الذين يتولون عملية تربية ورعاية الأطفال ، هذه المعتقدات لا تعتمد على أمور نسبية يختص بها كل فرد على حده وإنما هي مجموعة من الممارسات التي تتخذ علامة على مجموعة خاصة ومعينة من المعتقدات الاجتماعية ، فإن لكل ثقافة تتميز بأن سماتها الخاصة التي تقوم بوضع علامات مميزة لكل مرحلة من مراحل نمو الطفل .

فمثلا بعض المعتقدات في البمبارا عدم أكل المرأة الحامل لبعض الأطعمة وإقبالها على بعض الأطعمة الأخرى وذلك يرجع إلى بعض المعتقدات في ثقافتهم مثل عدم أكل لحم حيوان toto اعتقادا منهم أن أكله يجعل الطفل سارقاً في المستقبل ذلك لأن من صفة هذا الحيوان السرقة . وعدم أكلها للسمك خوفا من أن يولد الطفل بعين مثل عين السمك ، كما أن تبول الطفل الصغير على أي شخص يعني بالنسبة لهم جلب الحظ الحسن .

وكما يحدث أيضا في ثقافة بعض الجماعات الاثنية في وسط كوت ديفوار حيث يتم إعطاء الأطفال حقنة شرجية منذ الولادة وبشكل مستمر وذلك لاعتقاد الكبار أن سبب

ذلك تنظيف وغسل الطفل من الداخل[1].

بالإضافة إلى اعتقادهم بالنسبة للتوأم، فهم ينظرون للتوأم نظرة تفاؤل واستحسان، فهو مصدر رزق بالنسبة لأى عائلة ترزق بتوأم لأنهم يستخدمون كوسيلة لاستعطاف الآخرين، فهم مصدر رزق وجلب العطايا من الآخرين وتصل بهم استخدام التوأم للإيجار لبعض العائلات لجلب الرزق لهم بالإضافة إلى اعتقادهم بأن التوأم يحمل عقرباً، لايستطيع أحد من الكبار أن يؤذي أيا من التوأم، وإذا حدث ذلك وتسبب أحد بضرب التوأم أو أى منهم فإن الطفل ينظر إلى من تسبب له بالأذى ويقول له سوف أرسل لك عقرب أى أن هذا الشخص سيلدغه عقرب في يوم من الأيام وفي أي مكان كان لأنة آذى التوأم لايستطيع أحد الاقتراب من التوأم إلا لإرضائهم وهذا بخلاف بعض القبائل الإفريقية ومعتقداتهم عن التوائم مثلما يحدث في قبائل الدنكا من عمل طقوس معينة لقبول التوأم وقبائل أخرى تلجأ لقتل أحد التوأمين ليعيش الآخر.

كما أن السلوك العام وعمليات التطور والنمو لدى الأطفال في جميع أنحاء العالم لا ينظر إليها بنفس الشكل ولا التعامل معها بنفس الدرجة ولكنها أمور تعتمد على نظام معين من المعتقدات في المجتمع وبالتالي على ثقافة ذلك المجتمع. وينظر إلى الطفل الذي يقوم بتحريك يديه بشكل اهتزازي عندما يتم لمس وجهه من جانب أحد الكبار من جانب الأم البمبارية أنه دلالة القوة والصحة الجيدة للطفل، أما بالنسبة للأم الأمريكية مثلا فإنها تنظر إليه على أنه يشير إلى وجود بعض الخلل في التوافق الحركي للطفل[2].

إن المعتقدات الدينية وكذلك أثر البيئة الاجتماعية الخاصة بتنشئة الطفل، لا ينفصلان عن بعضهما البعض فهي متصلة معا وتتفاعل مع بعضها البعض في تربية الأطفال وهي ما يطلق عليها التربية غير المباشرة أو التنشئة الاجتماعية غير المباشرة أو غير الرسمية أو غير المنظمة وسوف نتكلم عنها بالتفصيل في المباحث القادمة.

(1)Eccd Ibid

(2)Judith Timy an (1988) A report prepeared de Beligional Unicff work shopi toward a strategy for Enhaning early childhood development in West Africa P.P. 1 – 25

أما التربية الرسمية المنظمة والتنشئة الاجتماعية المنظمة وهي التعليم والهيئات والمنظمات الرسمية التي يلتحق بها الطفل في مرحلة عمرية محددة لكي يتلقى تعليما منظما ، وهى تتمثل في الكتاب والمدارس بأنواعها وأيضا في المباحث التالية وسوف نتكلم عنها بالتفصيل .

ثالثا : مؤسسات التنشئة الاجتماعية عند البامبارا :

وتنقسم إلى قسمين :

- المؤسسات غير الرسمية.
- المؤسسات الرسمية .
- المؤسسات غير الرسمية / التعليم غير الرسمي / غير المباشر / غير النظامي

المؤسسات غير الرسمية للتنشئة الاجتماعية :

أولا : الأسرة

وهي أولى مؤسسات التنشئة الاجتماعية غير المباشرة ، أن المجتمعات البدائية البسيطة تعطي أهمية كبرى للعلاقات القرابية التي تتبعها الأسرة ، وللأسرة تعريفات كثيرة ومن أوضح التعريفات لها تعريف ميردوك حيث عرفها بقوله : « أن الأسرة هي جماعة اجتماعية تتميز بمكان إقامة مشترك وتعاون اقتصادي ووظيفة تكاثرية ، ويوجد بين اثنين من أعضائها على الأقل علاقة جنسية يعترف بها المجتمع وتتكون الأسرة على الأقل من ذكر بالغ وأنثى بالغة وطفل سواء كان من نسلها أو عن طريق النسب»[1] .

لما قام ميردوك بمقارنة الأسرة في ٢٥٠ مجتمع إنساني لاحظ وجود ثلاثة أشكال رئيسية للأسرة الإنسانية، أهم تلك الأشكال هي : الأسرة النووية والأسرة الممتدة والأسرة الممتدة ذات السكن مع والدة الزوجة وتأخذ قبائل البمبارا شكل الأسرة الممتدة .

١ - الأسرة النووية Naclear Family : باعتبارها النواة أو الخلية الأولى للمجتمع

(1) Mur Dock ، j (1949) Social organization،New york . p 1

الإنساني وأحيانا تسمي الأسرة الزواجية والبعض الآخر يسميها الأسرة الصغيرة وهي تتكون من زوج واحد وزوجه واحده وأطفالهما .

٢- **الشكل الثاني هو الأسرة الممتدة** : وهي أسرة مركبة وهي تتكون من عائلتين صغيرتين أحدهما امتداد للأخرى وبما أن مجتمعا البمبارا من الأسر الممتدة

نوضح بعض خصائص الأسرة الممتدة extendnd family **وهي** :

(أ) تتكون الأسرة الممتدة من عائلتين زواجيتين أو مركبتين أو أكثر ويشترط توافر رابطة القرابة الدموية الأولية بين أعضاء تلك الأسرة ويعيش امتداد الأسرة الممتدة في وحدة سطحية واحدة ويسود بينهم التعاون الاقتصادي ومن صورها أب وزوجته وأبنائه الذكور وعائلتهم وبناتهم وقد تكبر الأسرة الممتدة ويصبح عدد أفرادها كبيرا قد يصل من ٥٠ إلى ١٠٠ عضو[١]

(ب) تمتاز الأسرة الممتدة أنها تجمع في نطاقها عدد أكبر من الأجيال وقد تستمر في الوجود إلى مالا نهاية وتستمر الأسرة الممتدة في الوجود علي أساس أن الآباء يعيشون مع أطفالهم الذين يكبرون ويتزوجون وهي الشكل الأسري الوحيد الذي يتمتع بصفة الاستمرار في التواجد شأنه في ذلك شأن الجماعات القرابية وصفة الاستمرار هذه مشروطة باستمرار التناسل وضرورة السكن في وحدة سكنية مشتركة .

(جـ) تلعب قاعدة السكن التي تحدد المكان الذي يعيش فيه الشاب مع عروسه بعد الزواج دور كبير في بناء وتركيب الأسرة الممتدة . فنجد الأسرة ذات السكن مع والد الزوج Patrilocal extended family وهي مجتمع الأسر التي يكونها أبناء الأب تشمل الأب وزوجته وأبنائه وعائلاتهم وأحفاده وعائلاتهم أي عندما يتزوج أحد أبناء تلك الأسرة عليه أن يحضر زوجته ويعيش مع أسرة والده[٢] .

١) الشكل الثالث يسمي الأسرة الممتدة ذات السكن مع والدة الزوجة Matrilocal extended family وتتكون الأسرة من الزوجة وبناتها المتزوجات مع

(١)فاروق العادلي ،ص ١٢٧ مرجع سابق

(٢)المرجع السابق ص ١٤٢

عائلتهم وحفيداتها وعائلاتهن وكذلك أبنائها وبناتها غير المتزوجات .

الأسرة عند البمبارا : (صورة ٢٣ ، ٢٤) :

هي أسر ممتدة ويتراوح سن الزواج في الفتيات في القرى من ١٣-١٤ سنة ، أما الفتيان ١٨ سنه . ويشيدون بالترابط الاجتماعي الأسري . أن عميد الأسرة أي الأكبر سنا يهتم بالأبناء والأحفاد في منزل واحد ، ومن الممكن أن يصل عدد أفراد الأسرة الواحدة في منزل واحد إلى خمسين فردا ، فالأبناء يتزوجون ويمكثون في نفس منزل الأسرة كما أن الرجل يمتلك الزوجة (المرأة) والأبناء والإناث ، فهم من ممتلكات الرجل وقد ذكرنا أن هذا المجتمع لديه تعدد الزوجات ، قبل الإسلام كان من غير عدد ، أما بعد دخولهم الإسلام أصبح محدد شرعا بأربع زوجات ولكن نظرا لضيق الحالة الاقتصادية يكتفون باثنتين حسب الحالة المادية للزوج وهى التي تحدد عدد الزوجات .

بالإضافة إلى تعدد الزوجات تبعاً للعادات والتقاليد فأن عدم إنجاب الذكور هذا يؤدي بالزوج إلى الزواج مرة أخرى لإنجاب الذكور أو عدم الإنجاب أساساً ، ومن أسباب ذلك أيضا امتناع الزوجة عن مباشرة زوجها بداية من الشهر السادس للحمل إلى فطام الصغير، وسن الفطام عندهم ثلاث سنوات أي أن الزوجة تمتنع أكثر من ثلاث سنوات عن زوجها اعتقادا منهم أن الاتصال الزوجي بينهم أثناء إرضاع الصغير يؤدي إلى أمراض تصيب الصغير نتيجة إرضاعه بلبن الأم في هذه الأثناء

الأسرة هي الأساس في هذا المجتمع وكما يوجد تقسيم العمل من الناحية الاقتصادية يوجد أيضا تقسيم العمل من ناحية تربية الأطفال . فنجد أن من بداية الحمل إلى سن الفطام وهو سن ثلاث سنوات من اختصاص الأم ويظل الطفل ملتصق بأمه من الميلاد حتى سن ثلاث سنوات وهي تهتم به وترعاه وترضعه وتباشر عملها في المنزل بالزراعة ومساعدة الزوج وطفلها معلق على ظهرها كما أوضحنا في الصورة السابقة وهذه الطريقة في حمل الطفل توفر له الرعاية من المخاطر وتوفر له الراحة النفسية حيث إنه ملتصق بأمه طول الوقت كما أنها تستطيع أن ترضعه في أي وقت يشاء ، فرضاعة الطفل ليس لها وقت محدد وإنما يرضع كما يشاء وفي أي وقت ، إذن للأب ليس له أي دور مع الصغير في الرعاية أو تحمل أي مسئولية من الأب تجاه الصغير. في هذه

المرحلة يتعلم الطفل الجلوس والزحف (الحبو) والمشي والكلام وهذا من اختصاص الأم . ثم تنتقل الرعاية للطفل من ثلاث سنوات إلى ست سنوات إلى الأخوات الكبيرات يقوموا بتعليم الطفل بعض المهارات وتعليمه اللغة والأغاني والرقص ويتم هذا من خلال التفاعل مع الأكبر سنا ، الأخوات والأخوة الأكبر سنا يقومون برعاية الصغار وتقويمهم وتعليمهم بعض المهارات كما ذكرنا .

من ست إلى ثمان سنوات يبدأ تدخل الأب ، حيث يذهب الأولاد مع الأب إلى الحقل لتعلم الزراعة ، فهم يقومون برعي بعض الماشية والأغنام ، تحت إشراف الشباب ، وبعد ذلك يتعلم الطفل بعض مهارات الزراعة البسيطة إلى أن يكتمل سنه عشر سنوات نجده يزرع بمفرده ويعتمد عليه في ذلك ، أما البنات فتمكث في المنزل للمساعدة في الأعمال المنزلية ورعاية الطفل الأصغر .

نظراً لأهمية الزواج وتكوين أسرة نقف قليلاً عند الزواج عند البمبارا مع التنويه أن الزواج هنا وطريقته وطقوسه وعاداته ليست خاصة بالبمبارا فقط وإنما هى خاصة بطريقة الزواج فى دولة مالى عاماً.

الزواج في مجتمع البامبارا :

يمثل الرجل الشريك الفعال والنشط من أجل تحقيق الهدف وهو الزواج من الفتاة ، فللرجل الدور الأول والأساسي ، أما الفتاة فلها الدور الثاني أو الثانوي ، ويرى المجتمع أن الزواج مطلب أساسي وضروري لجميع الكبار والبالغين ، وهذه الأهمية للزواج تنعكس على القيمة العليا من الإنجاب، بل أن السبب الرئيسي للزواج هو إنجاب الأطفال حيث يعدونها هبة من الله و مصدراً اقتصادياً ومكسباً مادياً .

ويتراوح عمر الزواج بالنسبة للفتاة ما بين سن ١٥ – ١٦ سنة والمفروض أنه بحلول سن العشرين لأي فتاة أن تكون متزوجة ولديها أطفال ، أما سن الرجال فقد أصبح الآن سناً أكبر نظرا للحالة الاقتصادية فيتراوح سن الرجل في الزيجة الأولي ما بين ٢٨ إلى ٣٠ سنة . ويتدخل مستوى الأسرة اقتصاديا في سن الرجل للزواج ، وتشير الإحصائيات إلى أنه عندما يبلغ الرجل سن ٦٥ عاما نجد أن ٨٠٪ منهم قد تزوج مرتين أما السيدات في هذا العمر نجدهم تزوجوا مرة واحدة ، لأن المرأة التي يتوفى زوجها تصبح في حماية

الأخ الأكبر ، وهناك عدد لا بأس به من الأطفال للرجل الذي يتزوج أكثر من مرة فكلما زاد عدد الأطفال زاد دخل الأسرة لأن الأطفال مورد اقتصادي كبير للأسرة [١] .

تتولى أسرة الشاب عملية الزواج من بداية ترشيح المرأة اللازمة لهذا الزواج ثم القيام بكل مصاريف واحتياجات هذا الزواج ، وتتكاتف الأسرة كلها لإتمام عملية الزواج، لان المرأة تحصل على الدعم والعون في أوقات الحاجة من والدها وأخوتها من قبيل الزواج أما بعد الزواج تنتقل المساعدة إلى أسرة الزوج ، وخاصة عند نقص الموارد الغذائية في المنزل فالزواج يعتبر رابطة بين أسرتين .

وتتحدد تكاليف الزواج قبل ميعاده بعدة سنوات تصل إلى عشر سنوات ، وتشمل تكلفه الزواج المهر والتعويض عن عمل الفتاة في منزلها وانتقالها إلى منزل أسرة الزوج وتشمل أيضا حفل الزواج، وتتحدد هذه التكاليف وفقاً لدرجة ثراء الزوج ومستوى الزوجة الاجتماعي والمادي وطبيعة الزواج والتي تختلف إذا كان الزواج للمرة الأولى أو الثانية .

وتحصل الزوجة على دفعات مالية من خلال الوسيط بين الأسرتين ، حيث تستمر أسرة الرجل في تقديم الهدايا والمال إلى أسرة الفتاة ، وتقوم الأسرتان ومعهما الوسيط بحصر قيمة الهدايا والمال الذي قدم إلى العروس ويذهب جزء من هذا المال إلى والد الفتاة الذي يبدأ في شراء الذهب ويجهز ابنته استعدادا للزواج ، ويذهب جزء آخر إلى كبير الأسرة من أجل شراء ملابس وأجهزة ، و يكون هذا في العام الذي يسبق الزواج [٢] .

هذه التكلفة الكبيرة للزواج دفعت بعض العائلات إلى ما يسمى بالتبادل الزواجي حيث يتم تبادل بين فتاة من هذه الأسرة مقابل فتاة من أسرة العريس ، و يحدث ذلك في المجتمعات الفقيرة ماديا ، وهذا التبادل يتم في فترة زمنية قصيرة لا تتجاوز عامين أو ثلاثة ، ويتطلب ذلك أن تكون الفتاتان في نفس السن والمزايا وهذا التبادل يساعد على خفض تكاليف الزفاف والزواج .

---

(١)Toulmin ، Camilla، (1992) cattle ، women and wells : Manging house hold survival in the Oxford university ، New Your P. 236 – 237 .

(٢)ميداني.

وقد أدى ارتفاع تكاليف الزواج أيضا بالشباب إلى البحث عن الأرامل والمطلقات لتوفير تكاليف الزواج ذلك لأن الأرملة أو المطلقة ليس لها طلبات مثل الفتاة التي تتزوج أول مرة بالإضافة إلى النظر إلى ما لدى الأرملة أو المطلقة من ثروة من زواجها الأول .

يعد التوافق في المستوى الاجتماعي بين العائلات شرطاً أساسياً للزواج لعدة أسباب ، حيث أن الفتيات من العائلات الغنية تعمل أقل من الفتيات الفقيرات ، كما أن الأغنياء يقضون سنوات طويلة في الدراسة لذلك فإنهن لا يرغبن في العمل في الحقول ، أما إذا كانت عائلة الرجل أغنى من عائلة الفتاة فإن المجتمع ينظر إلى والد الفتاة بأنه قد باع أبنته ، وفي نفس الوقت فأن الأب يرفض زواج ابنته من رجل فقير ، لذلك تفضل العائلات الزواج المتماثل ، أما عن عمل الزوجة في مجتمع البمبارا فإن المرأة تتفرغ في المجتمع من أجل الشئون المنزلية ويستغرق ذلك الوقت والطاقة ، حيث أن النساء يقضين ثلاثة أو أربعة ساعات من أجل البحث عن الماء لزراعة الحبوب والطهي ومراعاة الصغير.

ونظراً لأن البمبارا يفضلون الزواج بأكثر من زوجة لذا فإن الزواج بأكثر من امرأة يعمل علي تخفيض العبء عن الزوجة الأولى ، فكلما زاد عدد النساء العاملات في الأسرة خفف ذلك من الأعباء المنزلية ويحدد سن المرأة قيمة إنتاجها وكذلك الحمل يتوقف عليه هذا الإنتاج ، فالنساء تتحمل الأعمال الثقيلة وتربية الأطفال وكما يشعرن بالفخر بالاستمرار في العمل الزراعي حتى بعد الولادة ويسعى كل من الزوجين إلى إنجاب الأطفال ، وتتنافس زوجات الرجل الواحد في عدد الأطفال التي تنجبها، ويعتمد الآباء على الأبناء في المساعدة في الزراعة ورعي الأغنام ، ذلك لأن الرجل والمرأة بدون الأبناء لا يتمكنون من إشباع الاحتياجات الضرورية .

أما في حالة مرض الزوجة فإن هذا يخفض من قيمتها في نظر الزوج وأسرته ، ونظرا لغياب الرعاية الطبية والغذاء الصحيح فإن المرض يؤدي إلى نتيجتين إما شفاء المرأة أو وفاتها وفي بعض حالات الأمراض المزمنة التي تتطلب العلاج والمتابعة في مستشفى سيجو أو المستشفى الإسلامي، وفي منطقة كالا تشهد ارتفاع عدد حالات مرض النساء،

مما يمنعهم من العمل لعدة أيام ، وهذا يؤدي إلى نوع من العجز الجزئي للأسرة ويؤثر تأثيرا شديدا في دخلها[1] .

وتحاول أسرة الرجل أن تتدارك مرض الزوجة من بداية اختيار زوجة الابن أي من بداية الزواج ، فتختار الفتاة من أسرة فاضلة من أجل ضمان صحتها ، لتؤدي الواجبات المطلوبة منها وترعى الزوج والأسرة

وفي حالة عقم المرأة يلجأ البمبارا إلى العلاج التقليدي بالأعشاب والعلاج بالسحر ، وبعض العائلات تتابع العلاج فى مستشفيات المدينة مثل سيجو أو ترسل المرأة إلى باماكو لتلقي العلاج اللازم ، هذه عائلات نادرة ، كما يطلق على المرأة التي لا تنجب اسم سوباكا Subaka ومعناها في معتقداتهم « المرأة التي تأكل أولاد الناس في داخلها »[2] .ومن عاداتهم أنه مراعاةً للمرأة التي لاتنجب أن يؤخذ طفل من زوجات الرجل الأخريات ويعطى للزوجة التي لا تنجب وتتولى هي رعايته ويكبر الطفل معتقدا أنها أمة ويظل برعايتها إلى أن يتزوج .

ونلاحظ أن معدلات الطلاق منخفضة جدا والسبب الرئيسي فيها عدم الإنجاب أو المعاملة السيئة من الرجل للمرأة ، وخاصة في حالة عدم الإنجاب ذلك لأنها تحتل دوراً اجتماعياً مهمشاً وهذا يؤدي إلى استياء الرجل منها لعجزها عن الإنجاب ، ثم تعامل معاملة سيئة تؤدي إلى أن تهجر المنزل وتطلق بعدها أما الخلافات في حالة وجود أبناء فإن هجر الزوجة للمنزل يعبر عن إعلان المرأة لغضبها ورفضها واستيائها من الضرب أو الاعتداء عليها ، وفي أغلب الأحيان يتمكن الزوج من إصلاح الضرر وعودة الزوجة بوسائط عائلية .

وهناك حالة في قرية كالا يتحدثون عنها ، حيث أن الزوجين أنجبا ثلاث فتيات إلا أن فقر هذا الرجل منعه من الزواج مرة أخرى لإنجاب الذكور الذين يشاركون في الفلاحة ، واستمر هذا الوضع حتى وفاة الزوجة وبعد وفاتها لم يستطع الزواج بأخرى أيضا لفقره ، واستمر هذا الوضع إلى أن توفي الزوج أيضا ولكن حدث أن ذرية هذا الزوج أيضا

(١)ميداني.

(٢)ميداني ٥/ ٢/ ٢٠٠٩ .

انتهت بوفاة البنات لصغر سنهم ، فأهل القرية يعتقدون أن هذا المنزل كان قادراً على الاستمرار في حالة إذا تزوج الزوج بأخرى وأنجب الذكور . ومثل هذه الحالات توضح أهمية الإنجاب وأهمية إنجاب الذكور خاصا .

تبين لنا مما سبق أهمية الزواج والأسرة والمرأة في مجتمع البمبارا ، فالمرأة ليست نصف المجتمع هنا ولكنها كل المجتمع ، وعلى الرغم من ذلك ينظر إليها الرجل والمجتمع نظرة متدنية ، وبالرغم من التكلفة المادية العالية للزواج إلا أنه مهم جدا ومن الأولويات ، وصلت أهميته إلى أن كبير الأسرة قد يؤجل حفر بئر والحفاظ على المواشي في سبيل تغطية مصاريف الزواج ، كما أن هناك منازل باعت المواشي في سبيل تغطية مصاريف الزواج ، وأخرى استنفذ كبير الأسرة كل الموارد المتاحة من أجل زفاف الأخ الأصغر ، وأسرة أخرى اعتمدت على بيع الفائض من الحبوب من أجل تغطية زواج الابن بدلا من شراء المواشي .

فالزواج له الأولوية الأولى ، لأن العائلات تسعى إلى أداء الواجبات المنزلية والعمل في الحقل من أجل ضمان دخل الأسرة وضمان الاستمرار في الإنتاج من أعمال الزراعة ، ويتحقق ذلك بالزوجة كما سبق لذا فإن كبير الأسرة يعمل من البداية على مراقبة الذكور الصغار ويعمل على زواجهم لضمان الذرية في المستقبل والحصول على المرأة العاملة[1] التي تساعد الزوج .

ما زال الحديث عن الأسرة ودورها في تربية الأطفال ، وبما أن مجتمع الدراسة ذو أسر ممتدة فإننا لابد أن تتكلم عن دور الجدات وكبار السن في رعاية الأطفال .

دور كبار السن في رعاية الأطفال

ويلعب كبار السن لاسيما الجدة دوراً مهماً في تربية الطفل عند البمبارا حيث يعد كل من الجد والجدة حافظين التراث والقيم والعادات والتقاليد ويعملون على توارثها للأجيال من خلال تربية الأطفال .تتولى الجدة رعاية الصغار مع الأم بمجرد أن يكتمل الطفل عامه الأول . تقوم الجدة برعايته بالتناوب مع الأم وخاصة في حالة تواجد الأم

(١)المقصود بالمرأة العاملة التي تعمل في المنزل والحقل وتربية الأولاد .

والطفل في المنزل تتولى الجدة رعايته أثناء انشغال الأم بالعمل في المنزل . أما قبل العام فإن الطفل لا يفارق أمه سواء في المنزل أو الحقل . فهو في الحمالة على ظهرها .

وتتولى الجدة أيضا استحمام الطفل يوميا وتعمل له تمرينات شد لجسده أثناء الاستحمام لتساعده على النمو الحركي وعلى شد عضلات جسده ومساعدته على المشي ، أما عندما يتعلم الطفل المشي داخل المنزل يتولي الإخوة الأكبر سناً رعايته. يتم هذا تحت إشراف الكبار وفي الغالب تكون الجدة أو ما ينوب عنها . تتولي الجدة أيضا حكاية القصص للأطفال من سن ٣ – ٦ سنوات ويطلق على القصة أو حكاية القصة Zirin تقوم بهذه الحكاية الجدة أو ما ينوب عنها أي أكبر سيده في المنزل تجلس على الأرض ويلتف الأطفال حولها وتبدأ بقول Zirin (زيرين) ويرد عليها الأطفال (بنعم) وتبدأ في حكاية القصة . صور رقم (٢٥،٢٦).

يعتبر سرد القصة للأطفال من أمتع الأوقات التي يقضيها الأطفال مع الجدة وتستمر الجدة في هذه الحكايات إلى أن يحفظها الأطفال عن ظهر قلب . وعندما يخرجون خارج المنزل للعب مع أقرانهم في مرحلة عمريه متقدمة في سن ٦ سنوات نجدهم يبدأون في تقليد الجدة بما حفظوه عنها من قصص ويأخذونها لعبه ترفيهية يجلسون في حلقات مع أصدقائهم والذي لديه القدرة على إلقاء قصة حفظها يبدأ بقول zirin بالبامبارا بالبويجلس الكل بانتباه ويردوا عليه : (نعم) .

إن أغلب القصص التي تحكى من الأساطير وخيالية ولكنها في النهاية تعليمية ، وأغلبها يدور حول الذئب والأرنب ، والأرنب في عرفهم رمز الذكاء والمهارة أما الذئب يمثل الغباء وفي النهاية لابد للأرنب أن يفوز أو تدور القصة حول الكلب ووفائه الذي يرقى إلى حماية صديقه وتنبيهه إلى الخطر ودور الكلب في حماية الخراف أثناء رعي الأطفال لها وتواجدها دائما مع الأطفال ومساعدة الكلب أيضا للصياد أثناء عمله في الغابة ، ذلك لأن الكلب له مكانه كحيوان هام وأساس في حياة هؤلاء البمبارا ، فهو لا يقوم بحماية قطيع الأغنام فقط وإنما أيضا بالحفاظ على حياة صاحبه وحمايته من الأخطار . والقراءات الأنثروبولوجيه تقول : أن أول حيوان تم استئناسه هو الكلب في العصور القديمة .

دور جماعة الأصدقاء واللعب وأهميته في التربية :-

يعتبر اللعب جزءا مهماً في نمو الطفل سواء كان المجتمع تقليدياً أو غير تقليدي . وكل ثقافة توفر لأطفالها اللعب المناسب والمتبع حسب ثقافتها . وفي أغلب الأحيان في مثل هذا المجتمع يكون اللعب من الأشياء الموجودة في البيئة ، فمثلا طفل البمبارا يلعب مع أصدقائه أثناء رعي الأغنام فهو يخرج للعمل مع والده في الزراعة من سن ٥ سنوات ، وأول عمل يقوم به هو رعي الأغنام تحت إشراف أحد الشباب . يجتمع الأطفال أثناء الرعي ويقسمون أنفسهم : طفل يرعي الأغنام والباقون ، يلعبون وهذا بالتناوب جزء يراقب الأغنام ويجمعها وجزء يلعب ، ثم يتبادلون الأدوار .

أما بعد انتهاء العمل فإن الأطفال تجتمع في الساحة ، وهي ساحة مخصصة للمجتمعات جزء منها للرجال وجزء للأطفال وجزء للشباب ، غالبا الأطفال يلعبون بعيدا عن مجالس الرجال ، ولا يتدخل الآباء ولا الرجال فيما يفعله الأطفال ولا يتدخل الأطفال أيضا ، ولا يوجد حديث أو لعب بين الرجال والأطفال أو بين الآباء والأطفال إلا إلقاء الأوامر والتوجيهات ويتدخل الشباب في وقت اللزوم إذا احتاج الأطفال إلى أي توجيهات أثناء اللعب وبعد العمل يقسم الأطفال أنفسهم في الساحة مجموعات ، وهذه المجموعات الإناث لوحدها والذكور لوحدها من سن خمس إلى ست سنوات ، وتختلف لعب البنات عن لعب الأولاد فأغلب لعب البنات بالغناء والرقص ويلعب الأولاد ألعاب الجري والكورة ، وكثير من الأمهات يشجعن أطفالهن على الاختلاط بالأكبر منهم سنا واللعب معهم . حيث نجد أن الأطفال الأكبر سنا يتضمن لعبهم تقليد الكبار في مختلف سلوكيات الحياة كالزواج والطهي والزراعة ووسائل الترفيه المختلطة ويوجد لعبة يلعبها النوعين معا من الذكور والإناث وهي لعبة جيرتاريدا geretarida.

والإناث هم أول ما يدركن الاختلاف بينهن وبين الذكور في طبيعة اللعبة وطبيعة قوتهم الجسدية . من بداية اللعب مع بعضهم البعض يبدؤون معرفة كل نوع على حدة وقدرته الجسدية وأيضا من بداية خروجهم للعمل يبدؤون في إدراك أن الذكور لها أدوار والإناث لها أدوار . ولكن الفصل بين الجنسين أثناء النوم يفصل بينهم من سن سبع إلى تسع سنوات ولكن في طبيعة العمل وطبيعة اللعب قد تم الفصل بينهم من سن خمس

سنوات[1].

دور الإخوة والأخوات الكبار في رعاية الأطفال :-

يقوم الإخوة والأخوات الأكبر سنا في المنزل برعاية من هم أصغر منهم سنا وخاصة البنات ، فعند خروج الأطفال للعمل مع أبيهم تعمل البنات على رعاية من هو أصغر منها ، وهذه الرعاية تشمل المحافظة على الصغير من الأخطار وتعويده المشي و مساعدته علي الكلام ومساعدة والدتها في استحمامة ونظافته اليومية وإطعامه بعد الفطام.

وعندما يخرج الأولاد إلى العمل مع أبيهم يتولى رعايتهم من هم أكبر منهم سنا ، حيث يقومون بتعليمهم الرعي أولا وجلب الماء وتدريبهم علي أعمال الزراعة البسيطة إلى أن يتم عشر سنوات نجد أن الطفل عندها يقوم بحمل الفأس والزراعة مثل أبية ومن ذلك الوقت يقوم بالاعتماد عليه ويحمله مسؤولية الزراعة كاملة . كما يقوم أيضا الكبار سواء كانوا من الأسرة أو خارجها بتعليم الطفل الأخلاق فكل فرد في هذه المجتمعات معروف من الجميع ، وتربية الطفل أخلاقيا مسئولية جميع أفراد المجتمع ، ذلك لأنه مجرد أن يبدأ الطفل الخروج من المنزل فهو مراقب من جميع أفراد المجتمع ، وإذا شاهده أي شخص من أبناء الأسرة أو القرية يقوم بأي عمل خارج حدود الأخلاق والأدب قام بردعه وعقابه من غير الرجوع إلى أهله . والعقاب في جميع الأحوال جسديا باستمرار رد فعل الخطأ من الكبير للصغير مباشرة هو الضرب قبل التفاهم . يضرب الطفل أولا ثم يتم نصحه والكلام معه علي الصواب والخطأ ثم يوضح له أن ما فعله كان خطأ حتى إنه عند إبلاغ الأب بما فعلة ابنة يكون رد الأب للذي أبلغة : لم لم تضربه على هذا الفعل ؟

* بعض الأنشطة التي يقوم بها الأطفال : -

من خلال بعض المناقشات تم رصد بعض الأعمال التي يقوم بها الأطفال ومنها .

- أعمال اجتماعية يومية :-

ومن خلال الأعمال الاجتماعية التي يقوم بها الأطفال لا يتم تحديد نوع الطفل الذي يقوم بالعمل ذكر أو أنثى. هذا يدعم ويقوي الإحساس بالتكامل ويحثهم على

(١)ميدانى.

التعاون والإحساس بالمسئولية والثقة بالنفس.

تعمل الأطفال من سن ثلاث إلى ست سنوات في مختلف المجالات مثل الأطفال الأصغر منهم سنا ، حيث يقوم الأطفال الذكور والإناث برعاية ببعض الأطفال الصغيرة جدا حيث يتعايشون معهم دون تدخل الكبار ، ولكن أن حدث ما هو خارج نطاق سيطرتهم فعلى أحد البالغين أن يتدخل[1].

- **بعض المهام التي تتم بالجري :**

تتم بعض الاختبارات وإلقاء الأوامر التي يقصد فيها اختبار مدى الطاعة في هذه المرحلة المبكرة من العمر ، ومنها سؤال الطفل أن يحضر بعض مياه الشرب للأطفال الأكبر سنا ولذويهم ، فنجد منهم من يطيع بلا سؤال ومنهم من يماطل في ذلك ومنهم من يهرب من المكان رافضا الاستجابة ، وهنا نجد أن جميع أفراد المجتمع يعملون على تقويم الرافض ومكافأة المستجيب ، ويتكرر الطلب ذاته وتتنوع الطلبات إلى أن نجد أنهم جميعا يطيعون وينفذون بلا سؤال .

- **أعمال المنزل اليومية :**

يؤكد جميع مجموعات القرية والبلدة وحتى المتعلمون الذين قابلتهم في القاهرة انحصار الأعمال المنزلية علي الإناث فقط حتى وهم في عمر صغير ، كما تمنع الآباء الأطفال الذكور إذا ما أراد أي طفل عمل أي شئ يرون أنه من عمل الإناث أو من عمل المرأة فيما بعد ، فإنهم يرون أنه من غير الطبيعي أن يقوم الذكر بأي عمل من تلك الأعمال ، كما نجد أن الأمهات ينفرن من تدخل أزواجهن حيث يقمن بنهر أطفالهم الذكور ومنعهم من المشاركة في بعض الأعمال المنزلية البسيطة وينظر إلى الأعمال المنزلية أنها خاصة بالسيدات والإناث وهي مرفوضة وتصل إلى درجة التحريم على الرجال والذكور .

وتقول إحدى السيدات « لا يجرؤ أحد في منزلنا علي إسناد أي من الأعمال

(١)ميدانى

المحرمة[1] إلي الأولاد » .

ولكن ... إذا لم يكن هناك إناث في المنزل من يقوم بتلك الأعمال في مساعدة الأم ؟

في حالة إذا كانت إنجاب الأم كل أولادها ذكوراً تعمل النساء من نفس العائلة على مساعدة تلك السيدة التي ليس لديها إناث أو تقوم إحداهن بإرسال ابنتها للمساعدة وعلى هذا تعامل تلك البنت على أنها ابنة صاحبة البيت . وإن تعذر الحصول على أي مساعدة فإنه قليلا ما يساعد الأولاد الأم في بعض الشئون الصغيرة مما يعرض الأم لبعض الأسئلة والملاحظات السخيفة والتأنيب على إشراك الأولاد في بعض أعمال الأم مهما كانت بسيطة ، ويرى زعماء القرى وكبار العائلات أنه « يجب أن توزع الأعمال طبقا للنوع » حيث إنه لابد من ترك الأعمال كما هي فلا يؤنث عمل ذكري من أجل أنثى ، أي لا تقوم الأنثى بعمل المفروض أن يقوم به الذكر وفي نفس الوقت يرى معظم الرجال أن أي عمل إذا لم تقم به الأنثى أو الفتاة قامت به الأم وليس أي رجل أو طفل أو شاب ، فهذا من المحرمات[2] .

وتوجد أيضا منظمة وتجمعات للأطفال مثل منظمة (تون) للأطفال ويلتحق بها الطفل في سن سبع سنوات ويرأسها طفل كبير نسبيا ، يتعاونون ويدعم بعضهم بعضا وينظمون بعض الاحتفالات ، ويوجد بينهم منافسة فردية ، وتعمل هذه الجمعية على التقارب بين الأسرة من خلال تقارب الأطفال بين بعضهم ، بالإضافة للاحتفالات التي ينظموها ينظمونها أمسيات لسرد الحكايات والقصص والأساطير التي تحكي عن ماضيهم خاصة أن البامبارا يؤمنون بالأساطير والقصص وهم حريصون علي نقلها للأجيال جيلاً بعد آخر[3] .

وسائل الإعلام :

توجد وسائل الإعلام في المدن فقط ، ففي العاصمة يوجد مبني للتليفزيون به قناتان

(١)المقصود بالأعمال المحرمة هي الأعمال المنزلية أو الأعمال التي تقوم بها الإناث

(٢)ميداني ١٢/ ١٢/ ٢٠٠٨

(3)Leoplod Rosenmary more than Wisdom(1988) » Africa study of the old in an African village» journal of cross cultural Gerontology pp 21 – 40

واحدة باللغة الفرنسية وأخرى باللغة البمبارية ، هذه المحطات في باماكو ولا تصل إلى القرى ، أما الإذاعة توجد محطة للإذاعة ، وبها محطات خاصة أكثر من ثلاثين محطة أغلبها بلغة البمبارا ، وهذه المحطات تصل إلى القرى أما الحكومة فلها محطتان فقط الأولى والثانية .

الحضانة :

الحضانة من وسائل التربية غير المباشرة ، وهي وسيلة مهمة جدا في تربية الأطفال وإعدادهم لدخول المدرسة ولكنها لا توجد إلا في باماكو العاصمة ومنها حضانات باللغة الفرنسية وأخرى باللغة العربية ، ويتم الالتحاق بها من سن ثلاث سنوات إلى سن الالتحاق بالمدرسة ، هذه الحضانات في باماكو تخدم فئة محدودة جدا ، لأنها حضانات بمصروفات بالإضافة إلى أنها تخدم الأسر التي تعمل بها الزوجة في المصالح الحكومية وهذه نسبة ضئيلة جداً ، وتخدم أيضا الجاليات الأخرى التي تقيم في مالي من أسر موظفى السفارات والأشغال الحكومية .

أما عن بمبارا فإن هذه المؤسسات لا توجد في القرى أو في بمبارا ، فالأطفال في هذه السن دائما يلعبون خارج المنازل في حرية تامة وفي سن ست سنوات يلتحق مع والده في الحقل والعمل للزراعة أو الصيد أو أي عمل يعمل به الأب إلى أن يرغب الأب ويكون لديه استعداد مالي لتعليم ابنه وإلحاقه بالمدرسة ، ومن الممكن أن يصل إلى سن ١٠عشر سنوات ولم يلتحق بالمدرسة .

الكُتاب : صورة رقم (٢٧،٢٨)

هو مؤسسة لتحفيظ القرآن والتعاليم الإسلامية ، هذه المؤسسة توجد في البلدان الإسلامية ووجدت بعد ظهور الإسلام ، وهي مؤسسات خاصة يمتلكها أفراد يجعل البعض لها مصروفات ولكنها رمزية أو مصروفات عينية كما في القرى والأرياف ، وتوجد مثلها في مصر والمغرب وتونس وكثير من البلدان الإسلامية ، وهي منتشرة أكثر في القرى والأرياف وفي المدن توجد هذه المؤسسات إما ملتحقة بالمساجد أو خارج المسجد وأغلب هذه المؤسسات تكون مجانية وتعتبر هبة أو صدقة لأهالي الأطفال

المنتفعين بها[1] .

وعمل هذه المؤسسات الأساسي هو تحفيظ القرآن خاصة للأطفال وفي البمبارا تبدأ من سن خمس سنوات وعلى الأب مسئولية التحاق ابنه بالكتاب ومباشرة تعاليم الإسلام وحفظ القرآن ، ويستمر الطفل في حفظ القرآن إلى أن يبلغ عشر سنوات ، وقلنا أن سن الالتحاق بالكتاب المفروض خمس سنوات ، ولكن للأب الحرية في أي سن يدخل ابنه الكتاب فيها ، فلا يوجد إجبار في تحديد السن فهي ترجع إلى استعداد الأب ومتي تعلم الأب نفسه القرآن والتعاليم الدينية ، أي إذا كان الأب تلقى حفظ القرآن في سن مبكرة فيتبع نفس الطريقة مع ابنه ، أما إذا تلقي التعاليم الدينية فى سن متأخرة فإنه يتبع مع ابنه الأسلوب نفسه في نفس السن.

يوجد نظامان للكتاب : نظام خاص بالمدن ونظام خاص بالقرى :

* **النظام الخاص بالمدن** : الكتاب كما قلنا ملكية خاصة ومصروفات تدفع شهرياً يذهب إليها الأطفال لحفظ القرآن الكريم وتعاليم الدين الإسلامية ويبدأ هنا من سن خمس سنوات أي قبل دخول المدرسة ، وهنا حرية أيضا يلتحق الطفل أم لا حسب رغبة ولي الأمر (الأب) لكن الأغلبية العظمى ترسل أبنائها إلى الكتاب في هذه السن .

وتوجد مرحلة أخرى للأطفال الملتحقين بالكتاب وهم أطفال المدارس في المراحل المختلفة ، وهم يلتحقون به في الإجازة الصيفية ، وهؤلاء هم طلبة المدارس الحكومية الذين يتلقون دراستهم باللغة الفرنسية ولا يوجد بها دراسات دينية ، والأهالي ترغب في تعليم أطفالها اللغة العربية والدين وحفظ القرآن فتلجأ إلى إدخال أطفالها في إجازات المدارس لتحصيل وحفظ القرآن ، في هذه الحالة لا يوجد سن محدد ، فالأعمار هنا متفاوتة سبع سنوات مع عشر سنوات مع اثنتي عشرة سنة والهدف واحد هو حفظ القرآن .

* **أما النظام في القرى** : وخاصة قبائل البمبارا في مدينة سيجو فلا يوجد اعتراف بالتعليم النظامي ، وإن وجد فهو محدود للغاية ، والاعتماد الكلي للتعليم هنا على

(١)ميدانى

الكتاب ونظامه مختلف عن نظام المدن .

ومن ناحية الملكية هو أيضا ملكية خاصة مثل المدن ، ولكن المساحة هنا مختلفة فلابد أن تكون مساحة الكتاب كبيرة ، ذلك لأن الذين يلتحقون بالكتاب تكون إقامتهم كاملة بالمكان ، لأن الأهالي يرسلون أولادهم إلى الكتاب من المدن والقرى المجاورة ، ويأخذهم الشيخ ويتولى تعليمهم وإقامتهم معه إقامة كاملة، ولا يأخذ الشيخ منهم مقابلاً نقدياً وإنما مقابل تعليمهم وإقامتهم عنده المقابل هو عمل هؤلاء الأولاد عند الشيخ إما في الحقل للزراعة أو الرعي أو الحدادة أو أي عمل يريده الشيخ من الأولاد ، السن هنا بالطبع سن الأطفال الذين يقدرون على هذه الأعمال ويتحملون البعد عن الأهل ، وتبدأ تقريبا من سن عشر سنوات .

ما الذي يدرسه هؤلاء الأطفال الملتحقون والمقيمون بالكتاب ؟

ينقسمون مجموعتين :

المجموعة الأولي : وهي جماعة حفظ القرآن يلتحق بها من يريد حفظ القرآن ، وهنا من الممكن أن يستمر خمس أو عشر سنوات في حفظ القرآن ، وبعدها له حرية الاختيار إما الاكتفاء بهذا ويخرج من الكتاب عائدا إلى أهله أو يكمل ويذهب إلى المجموعة الأخرى ، ومنهم أيضا من لا يرغب في حفظ القرآن وإنما يكتفي بالقراءة الصحيحة .

المجموعة الثانية : وهي دراسة الفقه الإسلامي وتتم دراسة الفقه الإسلامي من خلال دراسة خمس كتب كل كتاب يمثل مرحلة ولابد من أن يندرج فيها الطالب وهي على التوالي : الكتاب الأخضر ، الكتاب العشماوي ، المقدمة ، الثموداني ، هذه الكتب تمثل مراحل دراسة الفقه الإسلامي ولابد للدارس أن يبدأ بالكتاب الأخضر وينتهي بالثموداني ، ولا ينتقل من مرحلة إلا بعد أن يتم التي سبقتها ، أي لا يصل إلى الكتاب العشماوي إلا إذا أتم دراسة الكتاب الأخضر وهكذا .

إن الالتحاق بهذه المجموعة لا يشترط حفظ القرآن أولا ، بل يشترط القراءة الجيدة وتجويد القرآن وهذا بالتأكيد يتم في السنوات الأولى من تعليم الطفل أي من سن ست سنوات إلى عشر سنوات أو خمس عشرة سنة وهي تعليم اللغة العربية كالقراءة والكتابة ثم قراءة القرآن ثم يلتحق بهذه المجموعة بالشروط التي قلناها سابقا خاصة بصاحب

المكان (الكتاب) .

لابد لنا أن نشير هنا إلى أن الغرض من هذا النظام هو الدراسة من أجل الدراسة والمعرفة فقط ، فليس هناك شهادة حكومية تعترف بهذا النظام ، ولا اهتمام من جانب الدارسين أو الأهالي أو الحكومة للحصول على شهادة معترف بها بالرغم من ذلك فهناك إقبال شديد جدا من أهل القرى وتشجيع لأبنائها للالتحاق بهذا النظام من التعليم ويكتفون به ، فهو تعليم ديني صرف وهذا يدل على مدى شغف هؤلاء القوم بالمعرفة وخاصة بالدين ، وكما أن كلمة تعليم مرادفة للتعليم الديني سواء بشهادة أو غير شهادة[1]

المؤسسات الرسمية للتنشئة الاجتماعية (التعليم الرسمي والمباشر والنظامي)

المدرسة والمجتمع البدائي (البسيط) :

يري ستانلي دياموند Satnly Diamond أن المدرسة في المجتمعات التقليدية لا تعتبر أكثر من مظهر للتطفل الاستعماري colonia lintrusion ، فهي نظام غير تقليدي في مجتمع تقليدي ، وهذا يجعلها نظاما دخيلا على تلك المجتمعات وبهذا يقابلها البدائيون بحذر وتحفظ شديد ، ذلك لان المستعمرين سواء كانوا بريطانيين أو فرنسيين فرضوا لغة بلادهم الأساسية كلغة أولى للتعليم في تلك المدارس [2] .

وهذا يتضح في مجتمع الدراسة ، فنجد أن مالي كانت مستعمرة فرنسيا وعندما حصلت على الاستقلال أصبح للتعليم نظامان (سوف نوضحه فيما بعد) المدارس الحكومية وهي بالمجان وباللغة الفرنسية ولا يدرس فيها اللغة العربية أو الدين على الرغم من أن ٩٠ ٪ من الشعب يدينون بالدين الإسلامي، وثانيا المدارس الأهلية وهي مدارس بمصروفات ، التعليم فيها إسلامي صرف وباللغة العربية ثم أن التعليم الجامعي لا يلتحق به إلا خريج المدارس الحكومية ، ومن الملاحظ أن هناك تناقضا صارخا بين مدارس الحكومة والمدارس الأهلية ، وأن الطلبة أنفسهم بالرغم من أنهم أبناء بلد

(١)ميداني

(٢)زكي محمد إسماعيل – الأنثروبولوجيا الاجتماعية والفكر الإسلامي – كلية التربية – جامعة الازهر – بدون تاريخ نشر صـ ٣٠١ .

واحد ولغة واحدة وعادات وتقاليد واحدة إلا أن بينهم فروقا كثيرة وينظرون إلى بعضهم البعض على أن كلا منهم من مجتمع آخر.

إن العملية التربوية في هذه المجتمعات البسيطة عملية تنشئة بمعناها الواسع من حيث هي تدريب على المهارات والمواقف المتعددة في النظم المختلفة والتي تتكون منها شبكة العلاقات الشخصية ، فإنها بهذا المفهوم تصبح عملية استمرار للحياة نفسها ، أي لا يوجد انفصال ما بين التربية والحياة الاجتماعية في المجتمعات البسيطة .

في المجتمعات البسيطة تعد الأسرة في حالة غياب المدرسة هي الوسط الاجتماعي الوحيد للتربية إذ تقوم بتدريب الطفل على كيفية الحصول علي العيش ، وتظهر بوادر تقسيم العمل في هذه المجتمعات بين الرجل والمرأة ، حيث يختص الرجل بتعليم أولاده حرفة الصيد أو الزراعة والرعي ومهام الحروب والدفاع عن النفس والأسرة والقبيلة معا ، بينما تقوم المرأة بتعليم بناتها إعداد الطعام والبحث عن المأوي والغذاء ، معا وعملية التعليم هنا تعتمد أساسا على المحاكاة محاكاة الأطفال لآبائهم .

والتربية في هذه المجتمعات هي : عملية اندماج الفرد في الثقافة سواء في عموميتها أو خصوصيتها و تمثل العموميات في حماية الأسرة للصغار والمسنين وتقسيم العمل بين أفرادها مهما كانت ضآلة هذا التقسيم ، وفي عمل الأسرة معا كوحدة اقتصادية ، وظهور نظام الزواج كأساس للعلاقات الأسرية ، وإن اختلفت نظم ومقومات العلاقة الجنسية كأساس للزواج بين مجتمع وآخر ، وبينما تصل هذه العلاقة « الرباط المقدس» إلى قمة إنسانيته وكماله في الديانة الإسلامية حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم:٢١](قرآن كريم).

التعليم الرسمي ، والمباشر ، والنظامي في مالي:

التعليم في مالي له نظام خاص بالدولة ، فالتعليم في المدن العاصمة بماكو يختلف عن التعليم في القرى وأيضا سن الالتحاق بالمدارس في المدن يختلف عن القرى ، ففي المدن سن الالتحاق أولي ابتدائي من سن سبع سنوات ، أما في القرى بمبارا فإن التعليم الرسمي والحضور في المدارس فلا يرسل الآباء الأطفال إلى المدارس للدراسة إلا عندما يكون الآباء علي استعداد لذلك وليس باعتبار سن الطفل فالسن مختلفة ومتنوعة

تتراوح ما بين سن سبع سنوات إلى عشر سنوات أي من الممكن أن يضم الفصل الدراسي في أولي ابتدائي طفل سن ٧ سنوات مع طفل سن ١٠ سنوات أو ١١ ، ١٢ سنة فلا يوجد سن لالتحاق الأولاد في التعليم الأساسي ، ونسبة تعليم البنات للأولاد قليلة جدا ، فالاهتمام بتعليم البنت في المنزل ينحصر في الشئون المنزلية وإذا ما تم إرسالها إلى المدارس فهي تدرس إلى المرحلة الإعدادية فقط وبعد ذلك يتم تأهيلها إلى الزواج

تنقسم مراحل التعليمية إلى مرحلتين قبل الالتحاق بالجامعة :

المرحلة الأولي : التعليم من أولى ابتدائي إلى إعدادي .

المرحلة الثانية : من إعدادي إلى ثانوي .

هذه المراحل تتم كاملة في المدن أما في القرى فقلما يصل الطفل إلى المرحلة الثانوي ، وفي المدن بعد الانتهاء من المرحلة الثانوية قليلا ما يلتحقون بالجامعة ذلك لأن الدراسة في الجامعة ، باللغة الفرنسية لذلك توجد بعثات في دول عربية كثيرة على رأسها مصر والمغرب وتونس ويتم فيها الحاصلون على الثانوية العامة التعليم الجامعي فيها.

أنواع التعليم والمدارس في مالي :

يوجد ثلاثة أنواع من المدارس في مالي وكل نوع به نظام تعليم يختلف عن الآخر ، وهي :

١- مدارس أهلية ، الدراسة بها باللغة العربية الخالصة .

٢- مدارس حكومية ، باللغة الفرنسية الخالصة .

٣- مدارس تجمع بين الدراسة باللغة العربية واللغة الفرنسية .

أولا : المدارس الأهلية الإسلامية في مالي

كانت هذه المدارس تاريخيا عبارة عن دور لتحفيظ القرآن الكريم ، وهذه المدارس يمتلكها أصحابها وليست ملكا للدولة وهي بمصروفات ، فقد كان من عادة الحاج عبد القوي الفاتح (أحد المجاهدين الإسلاميين الماليين الذين عملوا على نشر الإسلام فى الريف) إذا استولى على قرية أو قلعة دينية أن يختار اثني عشر طفلا دون البلوغ ويغير

أسماءهم إلى أسماء إسلامية ثم يقدمهم إلى أحد حملة القرآن في جيشه ليعلمهم القرآن الكريم.

من ذلك التاريخ بدأت هذه المدارس (المجالس) في المقاطعات التي استولى عليها الفاتح ، ومع مرور الأيام أصبحت هذه المجالس القرآنية تأخذ اسم المكان الذي تعقد فيه (الدهليز) لأن المعلم كان يجتمع بطلابه في غرفة ذات بابين في مدخل الدار والدهليز باللغة البمبارية هو مربط الأكباش[1]، كان التعليم في هذه المجالس التي تحولت فيما بعد إلى مدارس كان التعليم بها إسلاميا : حفظ القرآن ودراسة الفقه والسنة وخاصة فقه مالك ، ظل الحال هكذا إلى أن جاء الاستعمار الفرنسي ، فلم تكن المدارس موجودة بالمقاعد والسبورات ومعلم يأخذ العصا ويلقي أمام الطلاب بل كان الطلاب يكتبون على الألواح الخشبية ما يستوعبونه بسرعة ويسر يوميا حتى ينتهوا من حفظ القرآن عن ظهر قلب ، ثم يبدأون بالتدريج في تعلم العلوم الإسلامية من فقه كالأخضري ثم العلوم اللغوية مثل فقة مالك .

وعندما جاء الاستعمار فتح مدارس أخرى على النمط الأوربي ، وجعل التعليم إجباريا فبدؤوا يعرفون الأسلوب الجديد في التعليم وبدؤوا في تطوير مدارسهم وتحويل مجالسهم إلى مدارس أهلية وأول مجلس تحول إلى مدرسة إسلامية عربية كان في كاي ، وهذه المدرسة كان لها دور في نقل الثقافة العربية الإسلامية إلى جنوب الصحراء ، وكان في دائرة سيقو وهي المدينة العلمية والعاصمة التشريعية والتنفيذية للحركة الجهادية قبل الاحتلال الفرنسي ، كان بها مدرستان كبيرتان في الخمسينات هما مدرسة النجاح والفلاح ومدرسة سبيل الفلاح أنشئوا عام ١٩٤٧م ، ثم أن شيوخ هذه المدارس لم يتخرجوا في جامعات الوطن العربي ولا في مالي بالطبع ، ولكن تتلمذوا علي أيدي شيوخ المجالس الإسلامية ، درسوا القرآن وتفسيره والفقه المالكي بالإضافة إلى اللغويات ، فلم يكن أصحاب هذه المدارس على علم بالعلوم الحديثة ولم يسافروا إلى الخارج للإفادة من المدارس العربية في الوطن العربي ولكن اعتمدوا على المقارنة بين ما أقامته فرنسا من بيوت للتعليم ولوازم مدرسين وبين إمكانياتهم فكونوا مدارس إسلامية

(١)الشيخ الشيرتو هادي عمر تيام ، الإسلام في الدولة العلمانية مالي ، مرجع سابق صـ ٩٠ .

إفريقية[1]. ولقد حارب الاستعمار المدارس الأهلية كثيرا ، وكانت المنافسة شديدة وأصبحت المحاولات قائمة لتحويل المدارس الأهلية الإسلامية إلى مدارس حكومية علمانية ولكن لم يفلح في القضاء عليها فظلت قائمة كنوع من التعليم ولكن هذا التعليم كان هو الأساس لأهالي البلاد سواء كان في العاصمة أو القرى وذلك يرجع إلى نظرة الأهالي إلى اللغة الفرنسية ، فهم يربطون بينها وبين المستعمر حتى بعد الاستقلال .

فما زالت هذه المدارس موجودة إذن ، وهي الأساسية بالرغم من أن نظام الدولة يشترط للعمل في المصالح الحكومية أو إكمال الدراسة الجامعية الحصول على اللغة الفرنسية والذي لا يتم إلا بالالتحاق بالمدارس الحكومية ، كما أن التعليم في المدارس الحكومية مجاني أما في المدارس الأهلية فهو خاص وبمصروفات ومع ذلك عليه إقبال أكثر من المدارس الحكومية الفرنسية .

والتعليم في هذه المدارس باللغة العربية ، وجميع المواد التي تدرس مرتبطة بشكل أو بآخر بالدين الإسلامي فهم يدرسون الفقه والحديث وقرآن وسيرة ... الخ كل ما يرتبط بالدين الإسلامي ، أما باقي المواد مثل المواد القومية والتاريخية مثل التاريخ والجغرافيا فهي تدرس باللغة العربية ولابد أن تكون مرتبطة بتاريخ البلاد وجغرافيتها أي مواد متعلقة بقومية البلاد وليس بقومية فرنسا كما كان متبعاً سابقا[2] . ونذكر هنا أن المدارس الأهلية الإسلامية لا تضم سوى مرحلتين الابتدائية والإعدادية ، وفي السنوات الأخيرة ضمت بعض المدارس المرحلة الثانوية .

يرشح المعلمون للتدريس بعد حصولهم على الشهادات الإعدادية مباشرة ، ولا يتلقون أي إعداد من الدولة لإعداد المعلم ولا يوجد في مالي دار للمعلمين للدارسين باللغة العربية وهذا ما جعل التعليم في المدارس الأهلية ناقصا وضعيفا وأحيانا فوضويا[3] .

إن نظرة الناس إلى التعليم هي الدين والتعاليم الدينية ، فقط حتى إنهم يقولون : أن

(١)المرجع السابق صـ ٩٢ .

(٢)ميدانى .

(٣)الشيخ الشيرنو هادى عمر تيام – الإسلام في دولة علمانية ، مرجع سابق – ص ـ ٩٨ ،

المسلم يجب عليه أن يلحق أبنه بالمدارس الإسلامية ليدرس الدين ولا يدرس الفرنسية أو العلوم الأخرى لأنهم مازالوا يربطونها بالاستعمار كإنهم لا يفرقون بين اللغة وصاحبها بالرغم من أن شرط الحصول على الوظائف الحكومية إتقان الفرنسية ، كما أن لغة الدولة الرسمية هي الفرنسية وجدير بالذكر هنا أن مالي تعتبر أكبر الدول النامية تخلفا ونسبة الأمية مرتفعة فيها جدا حيث تبلغ ٧٠ ٪ ولكي تقف الدولة على حافة التقدم فلابد أن تصل نسبة المتعلمين الذين يحسنون القراءة والكتابة إلى ٥٠ ٪ على الأقل[١]

جدول الدراسة الأسبوعي النموذجي للمدارس الأهلية

الإثنين	قرآن	نحو	الصرف	الحساب	/	الفقه	القرآن
الثلاثاء	قراءة	نحو	حديث	الحساب	/	التفسير	الفقه
الأربعاء	قراءة	بلاغة	المحفظة	الحساب	/	الميراث	القرآن
الخميس	نحو	صرف	البلاغة	الحساب	/	عطلة	عطلة
الجمعة	—	—	—	—	—	—	—
السبت	نحو	بلاغة	القراءة	الحساب	/	التفسير	القرآن
الأحد	بلاغة	قراءة	النحو	الصرف	/	الفقه	القرآن

يوضح لنا هذا الجدول اتجاه المدرسة الأهلية وهدفها في التربية والتعليم ، هذا النوع من المدارس والدراسة هو المنتشر في مالي وخاصة في القرى ، فالتعليم هنا عند جميع أهل مالي وخاصة القرى مرادف للدين أو التعاليم الإسلامية .

ثانيا : المدارس الحكومية :

وهي مدارس عامة فرنسية تمولها الحكومة ، أغلب هذه المدارس بناها الاستعمار الفرنسي ودعمها وكان التعليم فيها مجانا ، والآن بعضها بمصروفات والبعض الآخر مجانا وفي كلا النوعين تمول الحكومة هذه المدارس وتؤيدها ، والخريجون من هذه

(١)المرجع السابق صـ ١٠٤ ،

المدارس هم الذين يتولون الوظائف في الحكومة أو يكملون التعليم الجامعي ، ذلك لأن الدراسة بها باللغة الفرنسية وهي بعيدة عن الدين ودراسة الدين ومن الأباء من يرغب في تعليم ابنه أمور الدين وحفظ القرآن فعليه إذن ن يلحق بالكتاب كما ذكرنا من قبل .

والملاحظ على أبناء المدارس الحكومية وأبناء المدارس الأهلية أنه بالرغم من أن كلا منهما أبناء بلد واحد وديانة واحدة وعادات وتقاليد واحدة إلا أن هناك هوة بينهما ، فكل منهم ينظر إلى الآخر على أنه غريب ومن بلد آخر. وهذا ما تعمل حكومة مالي الآن على إزالته بين أبنائها وتقرب بين أبناء المدرستين كما تحاول تغيير في المناهج التعليمية في المدرستين حتى يحدث تقارب فهي تحاول ربط الدراسة الدينية في المدارس الأهلية بالمجتمع وإدخال مواد أخرى مع الدين حتى تشمل الدراسة الدنيا والدين وفي نفس الوقت تحاول إدخال دراسة دينية في المدارس الحكومية لربط الحياة بالدين ، ذلك لأن المدارس الحكومية بعيدة تماما عن دراسة الدين وتجمع جميع الديانات داخل هذه المدارس فالتعليم فيها علماني ليس له شأن بالدين إطلاقا .

ثالثا : النوع الثالث من المدارس :

وهو خليط من النوعين السابقين ، وهو دراسة عربية فرنسية ، هذا النظام أنشئ في الخمس سنوات الماضية، وهو نظام حديث الدراسة فيه مرحلتان المرحلة الابتدائية والإعدادية ، نسبة دراسة اللغة الفرنسية والمواد المتعلقة بها ١٥ ٪ فقط وباقي النسبة لدراسة الدين واللغة العربية وما يتصل بها .

وبعد الانتهاء من المرحلة الإعدادية فأن علي من يريد الالتحاق بالمرحلة الثانوية أن يدرس سنة دراسة تمهيدية الدراسة فيها باللغة الفرنسية على أن تكون نسبة دراسة اللغة العربية والدين ٢٠ ٪ والـ ٨٠٪ الأخرى دراسة مواد علمانية باللغة الفرنسية بالإضافة إلى دراسة اللغة الفرنسية كلغة رسمية .

يحتوي جدول هذه المدارس على دراسة اللغة العربية بفروعها والدين الإسلامي بفروعه والرياضيات بالإضافة إلى تدريس لغة البمبارا من السنة الأولى الابتدائي، ثم تدخل اللغة الفرنسية من السنة الثالثة الابتدائي وتدخل العلوم العصرية وهي الفيزياء

والكيمياء والعلوم الطبيعية من السنة السادسة الابتدائي والاستمرار في المرحلة المتوسطة والثانوية في كل هذه الأنواع من التعليم ، و لايوجد في هذه الأنواع من المدارس ما يسمي بالكتاب المدرسي الذي يحتوى على المقرر ويكون في أيدي التلاميذ .

في المرحلة الابتدائية الأولى التى تشمل ست سنوات دراسية ، يكتب المدرس على السبورة والتلاميذ يقومون بنقل الدرس من على السبورة ويتم النقل على اللوح الخشبي فهم لا يعرفون الورق الا متأخراً ، أما في المرحلة المتوسطة والثانوية فيبدأ المدرس بإملاء التلاميذ الدرس المقرر عليهم قبل الشرح ولا يكون الكتاب إلا في يد المدرس فقط ، وكان هناك تعليق من الجالية المالية في القاهرة أنهم استغربوا عندما حصلوا على كتاب مقرر لكل طالب أثناء تعليمهم في القاهرة .

أما عن إقبال الأهالي على التعليم في هذه الأنواع الثلاثة من التعليم فأننا نجد أن الأهالي لديها إقبال أكثر على التعليم العربي والأساسي الديني ، وهذا يتضح أكثر في القرى ، فأما في بمبارا فلا يوجد نظام المدارس الحكومية الفرنسية إلا في سيجو المدينة وهو قليل جدا ، أما في القرى لا توجد هذه المدارس، وإنما توجد أيضا في بماكو وهي كثيرة وأساسية في التعليم .

أما عن تعليم البنات في كل الأنواع السابقة من المدارس فيكون في المدارس العربية ويصل إلى نهاية المرحلة الابتدائية وقليلا ما تصل إلى الإعدادية بسبب صغر سن الزواج المبكر .

فتعليم البنات ليس له أهمية كبرى في مالي وحتي في باماكو العاصمة ، أما في بمبارا ليس له أهمية إطلاقا، لأن البنت سواء تعلمت أو لم تتعلم فهي للزواج وإنجاب الأطفال ، أما إذا تعلمت وهي في باماكو فهي تنهي تعليمها عند سن ١٥ سنة في الكثير من الأسرة استعدادا للزواج .

اللغة كوسيلة للتواصل :

ذكرنا في مجتمع الدراسة في الفصل الأول اللغة التي تتكلم بها مالي، وذكرنا أن بمالي أكثر من خمس عشرة لغة متعارفاً عليها ، ولكن اللغة المحلية الأولى هي البمبارا أما اللغة

الرسمية لغة المصالح الحكومية والوظائف فهي الفرنسية .

وبالرغم من أن شعب بمبارا أقلية بالنسبة لسكان مالي إلا أن اللغة السهلة والمحلية هي لغتهم ، ومن السهل على كل العرقيات الأخرى أن تتكلم لغة البمبارا بالإضافة إلى لغتها ، إنما يصعب علي البمبارا أنفسهم أن يتكلموا لغة أخرى غير لغة البمبارا . هذه اللغة كانت منطوقة فقط ومنذ سنوات بسيط أصبحت مكتوبة ومنطوقة ، وأشرنا سابقا أنه قد ترجم كتاب فقه مالي باللغة بمبارا ، وكما ترجمت معاني المصحف الشريف إلى لغة بمبارا ، بالإضافة إلى أن الدولة تشجع وتعمل علي تدعيم لغة البمبارا ، فهي اللغة المحلية لشعب مالي .

وتعمل الحكومة في باماكو على إرسال كل طفل أنهى الدراسة الأولى أي من ابتدائي إلى إعدادي يرسل إلى محافظة في بمبارا وخاصة سيكو لكي يتعلم لغة البمبارا حيث أهميتها لكل سكان مالي ، بالإضافة إلى أن سيكو من أكثر المحافظات والمدن تمسكا بالعادات والتقاليد والديانات التقليدية بجانب الإسلام وإن معقل اللغة العربية أيضا في مالي هو في سيكو ، كما أن هناك اليوم في مالي اتجاهاً دراسيا وتربويا إلى فرض التعليم في المدارس الابتدائية كلها باللغة الأساسية في البلاد وهي لغة البمبارا .

التربية الدينية :

يحرص الآباء والأجداد حرصا شديدا على التربية الخلقية والدينية لنقل مبادئ السلوك السوي والتصرف السليم إلى أبنائهم ، والأوامر عندهم تتصل بتقديس الأجداد واحترام الشيوخ والآباء ، وينتشر بينهم الصدق وطاعة أولي الأمر والوفاء بالوعد ، وتنحصر الأصول الدينية في أنهم يفرقون بين العالم المرئي والعالم غير المرئي ، وعندهم الشعور بالخضوع لعالم أعلي وأن هناك قدرة عليا تنظم الكون وتهيمن عليه ، ويعتقدون بوجود أرواح مستقلة بعضها خير صديق وبعضها شرير عدو ، ويؤمنون كذلك باستقلال روح الإنسان عن جسده وانفصالها عنه عند الوفاة .

كما يميزون بين الخير والشر ويؤكدون على الحياة والعدالة والمسئولية والحرية والواجب والخطيئة التي تعاقب عليها سلطة غير مرئية أو من يمثلها ، ويهتمون بالصلاة والعبادات ويميزون بين المقدس وغير المقدس في الأماكن والأشياء والأقوال

و ينظرون إلى الأسرة كمقر اجتماعي وديني يحفظ نقاء الدم وينقل تقاليد وعادات القبيلة خاصة عند مراحل الحياة الأساسية المتمثلة في الولادة والبلوغ والزواج والموت .

إن الطفل تابع لأسرته ، يعتنق دينها ويتشرب تقاليدها بما يؤثر في سلوكه وتصرفاته وتفكيره ونظرته للحياة وقد قال النبي(صلي الله علية وسلم) « كل مولود يولد على الفطرة إنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أويمجسانه»« حديث شريف »

والأطفال في مجتمع البمبارا يفعلون ما يفعله الكبار ويقلدونهم ، والكبار حريصون كل الحرص على تشجيع الأطفال لكي يقلدوهم في الصلاة والذهاب إلى المساجد وهنا يرى الأب ضرورة لتعليم ابنه القرآن ويلحقه بالكتاب ، أي لا توجد سن معين كما أوضحنا للالتحاق بالكتاب ، فهي متروكة للأب ومدى استعداده لتلقي ابنه التعاليم الدينية الإسلامية من فقه وأحاديث وحفظ قرآن .

ومن الملاحظ في سيقو (وكان هذا متبعا في مالي كلها) أن كلمة تعليم مرادفة للتعاليم الإسلامية وأن كلمة تربية أيضا مرادفة للتربية الإسلامية والعربية ، هذه النظرة مازالت في قري في سيقو والقرى والمدن التي حول العاصمة ، أما في العاصمة باماكو فالنظرة مختلفة قليلا ، فنجد بعض الناس يجمع فكرهم عن التعليم بين التعاليم الدينية والدنيوية ويجمع بين اللغة العربية والفرنسية والبمبارية ولكن بعض الأسر مازالت تنظر إلى التعليم على أنه تعليم عربي ديني فقط طالما هي أسرة مسلمة ، وهذه الأسر مازالت تنظر إلى التعليم الفرنساوي الدنيوي البعيد عن الدين أنه تعليم غريب على المجتمع وأنه مرتبط بالاستعمار ، لأن ثقافة الدولة المستعمرة هي ثقافة المستعمر ، إذن ثقافة فرنسية .

وقد قامت الباحثة بالتنقل بين بعض عائلات البمبارا ، وأجرت حواراً مع بعض السيدات والبنات لمعرفة مدى تمسكهم بالدين وعند سؤالهم عن مدى التزام السيدات والبنات بالصلاة قلن : هناك سيدات ملتزمات بالصلاة وهن اللاتي يتكلمن اللغة العربية ويحضرن حلقات دراسة الدين والصلاة ، وقد لفت نظر الباحثة وجود بعض الحلقات الدينية الخاصة بالسيدات وتقوم بإلقاء الدروس والتوعية فيها سيدة ، وهناك بعض الحلقات التي تجمع بين السيدات والرجال ، ولكن يفصل بين المجلس فاصل (ستائر) وفي هذه المجالس الذي يلقي الدرس هو شيخ الجامع .

وقلن أيضا أن هناك سيدات ملتزمة بعض الشيء بالصلاة و منهم من لا تصلي أساسا ودرجة الالتزام تختلف من سيدة إلى أخرى في موضوع الصلاة ، لكن أكثرهن التزاما من حصلت على قسط من التعليم وتحضر حلقات الدراسة وهي في الغالب السيدات المتزوجات ، فهن أكثر التزاما من غير المتزوجات والآنسات ، ويرجع في رأيهم التزام السيدات بالصلاة إلى إرضاء الزوج وأسرة الزوج .

أما التزام البنات بالصلاة فهذا راجع إلى إرضاء الأب غالباً ، وفي حالة حرص الأب على الصلاة فإن الأبناء من الذكور والإناث ينشأن علي حرص أداء الصلاة .

أما عن ظاهرة الحجاب فهي في ازدياد عن ذي قبل ، وكانت النسبة الغالبة للسيدات ، أما الآن فقد بدأت البنات والغير متزوجات تظهر منهم نسبة كبيرة في ارتداء الزي الإسلامي أما غير المحجبات فتجدهن وقت الصلاة ارتدين زيا مناسبا للصلاة يغطي من رأسها إلى إصبع قدمها ، وبعد الانتهاء من الصلاة يخلعن هذا الزي ويلبسن الزي الخاص بهم وهو على قطعتين وقد تم وصفه في الفصول السابقة من البحث.

أما عن مدي التزام الأطفال بالدين والشعائر الدينية فإنه يختلف من أسرة إلى أخرى ويرجع أساسا إلى الأب ومتى بدأ إتباع الشعائر الدينية في الصغر ، إذا كان الأب ممن اتبعوا الصلاة والشعائر الدينية وهو صغير فهذا ينطبق على الأولاد ، أما إذا اتبع الأب الشعائر الدينية في سن متأخرة فهذا ينطبق على الأولاد وبدأت في الآونة الأخيرة حلقات للعلم والنصح والإرشاد ، هذه الحلقات تعقد في الجوامع ويحضرها الرجال والأبناء والسيدات أيضا ، وهي حلقات توعية وإرشاد عن كيفية تطبيق الدين الإسلامي في الحياة العامة وبعثة الأزهر لها دور كبير في هذا فهي متواجدة دائما في مالي .

إن بداية اليوم عند البمبارا لها طقوس كل حسب ديانته ، لأن النسبة الأكبر من شعب البمبارا مسلمون ويوجد بينهم أقلية وثنية أما المسيحيون فهم نسبة لا تكاد تذكر ، ذلك لأنهم يفضلون (إن لم يكونوا مسلمين) البقاء علي دينهم عن أنهم يدينون بغير الإسلام ، أي أنهم إما مسلمون أو ذوو ديانة تقليدية ولكن في التعامل معهم لا تستطيع أن تفرق بين ما هو مسلم أو غير مسلم فلهم عادات واحدة وتقاليد واحدة وأخلاق وقيم واحدة إلا في بعض الأمور التي من الممكن أن تخالف الشريعة الإسلامية فإن المسلم يبتعد عنها .

فمثلا بالنسبة للمسلم يقوم في صلاة الفجر ، يبدأ يومه بصلاة الفجر ، وتتبعه الزوجة والأولاد وتقوم الزوجة بإعداد الطعام ، ويخرج الزوج إلى العمل في الحقل للزراعة مع دعوات الزوجة له بتيسير الحال ، ثم بعد ذلك يتبعه الأولاد الذين هم في سن العمل للمساعدة ويكون هذا في الضحى ، وتمكث الأم مع البنات في المنزل لعمل الشئون المنزلية ورعاية الصغار وتحضير الطعام ثم تذهب في الظهيرة إلى رجال العائلة في الحقل ومعها طعام الغذاء وبعد الغذاء يستأنف العمل ، وتنضم النساء في هذا الوقت مع الرجال للزراعة وإنشاد الأغاني الحماسية لبعث النشاط في نفوس الرجال للعمل وتحمل المشاق .

أما غير المسلم فمنهم من يوجد في منزله تمثال صغير يتقرب به إلى الإله أو هو الإله نفسه ، كما يعتقد ببدء اليوم بالتقرب إليه بالدعاء والترانيم ومنهم من يتقرب بالقرابين مثل ذبح دجاجة ، كل حسب مقدرته المادية ، ثم بعد الذبح يلقي الدم على التمثال مع الدعاء بتيسير الحال .

ومنهم من يبحث عن عش للنمل الكبير وعندما يشاهده يكسر عليه بيضة مع الدعاء بتيسير الحال لكي يفتح عليه الإله ويرزقه .

ومنهم من يأخذ ثمرة ورو Woro وهي ثمرة مشهورة عندهم يأخذها ويمضغها ثم يبصقها على الإله الخاص به . وثمرة الورو Woro هذه لها استخدامات كثيرة ، فهي تستخدم فعند الزواج عندما يتقدم شاب لفتاة فأن أول زيارة من الشاب لأسرة الفتاة يأخذ معه كمية من زهرة الورو ويقدمها لوالد الفتاة لطلب يدها في بداية الكلام يقدم حفنة من الورو يضعها في يد والد الفتاة ، وقبل وجود الورو كان يقدم كمية من الملح لنفس الغرض.

هذه الثمرة يستخدمها جميع أهل البمبارا على اختلاف ديانتهم المسلم يستخدمها للمضغ فقط دون وجود إله ليبصقها عليه ، ويستخدمها أيضا عند الكلام علي فتاة للزواج ، أما غير المسلم فأنه يستخدمها للمضغ ثم يلقيها على الإله ويستخدمها أيضا عند الزواج والتقدم إلى فتاة .

أما عن مدى معرفة الناس بالتعليم وتقبلها. فأن معرفة الناس بالتعليم أساسا مبهمة

وغير واضحة في أذهانهم ، ذلك لأن التعليم من وجهة نظرهم هو تعليم ديني ولا يوجد سن للالتحاق بالمدارس وخاصة في القرى فسن التحاق الأطفال بالمدارس يتوقف علي رب الأسرة ، فمتي رأي رب الأسرة أن هذا الطفلاً وجب عليه أن يتعلم يلحقه بالمدرسة فنجد في سنة أولي ابتدائي أن هناك طفل عمره ست سنوات وآخر عشر سنوات وآخر خمس عشرة سنة وكلهم في نفس العام الدراسي ويدرسون نفس المواد فهم يطبقون المقولة التي تقول « اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد » ولكن على طريقتهم الخاصة ، فالإنسان يبدأ التعلم في أي سن ، والتعليم ديني مادام المتعلم مسلما .

بالإضافة إلى أنهم يعتقدون بأن المدارس الفرنسية والتعليم فيها للنصراني أو الوثني ، أما المسلم فأنه لا يلتحق بالمدارس الفرنسية ، وكان الرفض من الآباء والأسر ورسخت هذه العقيدة لديهم عن التعليم فترة طويلة من الزمن وهذا راجع أساسا إلى أن اللغة الفرنسية هي لغة المستعمر وربطوا نوع التعليم هذا بالاستعمار .

وقد بدأ الآن هذا الاعتقاد في التغير ولكنه تغيير بطيء نوعا ما في المدن ، ولكن بعض الأسر مازالت تصر على هذا وتعلم أبناءها تعليما عربيا دينيا فقط ، والغريب أن هذا التعليم تعليما عربيا دينيا في المدارس الخاصة الأهلية وبالمصروفات أما التعليم باللغة الفرنسية فهو في المدارس الحكومية وبالمجان بالإضافة إلى اهتمام الحكومة بالعاملين والمدرسين الذين يعملون في مدارسها ورعايتهم اجتماعيا وبالرغم من ذلك فإن الإقبال على التعليم العربي الديني أكثر من المدارس الحكومية الفرنسية .

كما أن لرفض التعليم الفرنسي سبباً آخر وهو أن الدراسة بها باللغة الفرنسية حيث لا يدرسون فيها الدين والمعروف أن شعب مالي شعب متدين ويحب الإسلام ولقد قامت مالي الحديثة وجدت على الدين الإسلامي، الإضافة إلى أن التعليم الفرنسي يهتم بالثقافة الفرنسية ، وطالما وجدت مالي أن هذه الثقافة غريبة عنها ذلك أن مالي وسيقو بالأخص من الشعوب التي تتمسك بالعادات والتقاليد .

وبدأت عملية التعليم تتغير ، ولكن التغير يسير بطريقة بطيئة جدا ، ولقد وفرت الحكومة نظاما ثالثا للتعليم بالإضافة إلى التعليم الفرنسي والتعليم العربي الديني ، هذا النظام الثالث يجمع بين النظامين : التعليم الفرنسي والتعليم الديني العربي وقد

أوضحنا هذا النظام في التعليم النظامي في مالي ، وسبب وجود هذا النظام أن التعليم الجامعي باللغة الفرنسية ومن يريد الالتحاق بالجامعة لابد له من إتقان الفرنسية ، والبديل بعد انتهاء الثانوية باللغة العربية دخول مسابقات للحصول على منحة دراسية في أي بلد آخر مثل القاهرة والمغرب والجزائر وتونس ، وهذا بالطبع يكلف البلد مبالغ طائلة وهذه البعثات قد التقت بهم الباحثة في القاهرة و كانت مائة وخمسين طالب ملتحقين بالجامعات المصرية وبالأخص في جامعة الأزهر ومعاهدها، وأغلبهم يقيم في مدينة البعوث الإسلامية ، ويوجد من بين هؤلاء الطلبة من يدرس في القاهرة على نفقته الخاصة تتولى أسرته الإنفاق عليه لإتمام الدراسة وقد قابلت بعضهم وكان من بينهم فتاة تدرس في معهد أزهري لدراسة اللغة العربية.

تعليم الفتاة والمرأة في القرى :

نتفق جميعا أن التعليم أداة قوية في إيدي صاحبها وتعطيه الكثير من القوة والسلطة أحيانا، لذلك نجد أنه من مراكز بناء القوة في المجتمع ، وبما أن مجتمعنا مجتمع ذكوري أي الرجل في المقدمة فلابد من عمل تحديد أو تحجيم لتعليم المرأة من خلال من هم مسئولون عن ذلك ، حتى أنه عند إتاحة الفرصة للمرأة للحصول على التعليم من خلال المشاركة في برامج تعليم الكبار (محو الأمية) وهو خاص بالسيدات والفتيات التي فاتها سن التعليم المدرسي فإنه يتم تقليص واختزال ذلك المجال المفتوح أمامها من أجل استخدام تلك المهارات التي تعلمتها من خلال ذلك التعليم الذي حصلت عليه ، علي الرغم من وجود العديد من الإثباتات والبراهين التي تشير إلى أنه خلال سنوات التعليم المدرسية فإن عملية تعليم الفتيات هذه يكون لها فائدة ومنفعة كبيرة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية ، علي سبيل المثال في النواحي الصحية والإنجابية ، وغيرها إلا أنه مع ذلك لا يوجد تشجيع لتعليم الفتيات الصغار في المدارس ولا تعليم الكبار من النساء ، فالنساء في القرى لا يعرفون القراءة والكتابة ولا كتابة أبسط الكلمات أو كتابة أسمائهن بالرغم من أنه يوجد برامج لتعليم الكبار وخاصة في القرى يتم دعمها من جانب منظمة تنموية تسمي (C.A) أو منظمة مساعدة الأطفال (chil Aid) ، وهي منظمة غير حكومية تعمل في مالي منذ ١٩٨٧ في مجال رعاية الأطفال وإدارة الموارد الطبيعية والزراعية والبيئية ، وبعض الأعمال الصغيرة والتعليم ، فنجد أن نسبة ضئيلة

جدا من النساء هي التي استفادت من هذه المنظمات الخاصة بتعليم الكبار وذلك للصعوبات التي قابلتهم ، ومنها :

*ضعف الإمكانيات المتاحة للتعليم مثل استخدام أدوات التعليم من سبورة وأوراق وأقلام ، وذلك للوضع الاقتصادي المتدني .

* ومنها أن هذه الدراسة تعقد مرة واحدة في السنة ، وغالبا ما تكون متوافقة مع شهر رمضان وأثناء فترة الصيام ، وهي فترة تكون النساء فيها على درجة كبيرة جدا من الانشغال ، وهذا يعوقهن من الحضور إلى تلك الفصول التعليمية ، ولذلك فإن نسبة الحضور تكون عالية للرجال والأولاد أكثر من البنات والسيدات .

* ومنها ما يتعلق بالحالة الاقتصادية وهي أن الفصول تعقد في المساء و القرى لا يوجد بها كهرباء وإنما يستخدمون مصابيح الكيروسين وهي لا توفر الإضاءة الكافية واللازمة لذلك الأمر .

* ومنها ما يتعلق باللغة التي يستخدمونها ، حيث أن لغتهم الأصلية هي البمبارا وهي اللغة العامية ولا تستخدم في التعليم حيث أن اللغة السائدة في التعليم هي اللغة الفرنسية و كل التعاملات الحكومية والروشتات الطبية التي تخرج من المراكز الطبية كلها باللغة الفرنسية وليس باللغة القومية البامبارا ، وبالرغم من أن الذين تعلموا اللغة الفرنسية يتحدثون بالبامبارا لأنها لغتهم الأصلية ومع ذلك لا يقرؤون ولا يكتبون بها .

* والمهم منها ما يتعلق بالاعتقادات والعادات الراسخة في أذهانهم من أن التعليم والدراسة من الأفضل أن يحصل عليه الرجل أكثر من المرأة وأن التعليم أكثر نفعا للرجل عنه بالنسبة للمرأة ، وأن جميع قادة التعليم والدين هم رجال لذا فإنه من المفروض أن هذه الفصول التعليمية هي مخصصة للرجال، وبالرغم من أن هذه الفصول عند نشأتها مختلطة للرجال والنساء فإن عملية الحضور في البداية كانت للرجال ثم بالتدريج بدأ التحاق النساء .

مع ملاحظة أنه من الناحية الاجتماعية من الصعب أن تحضر النساء تلك الفصول مع الرجال كما أن القائمين على هذه العملية التعليمية اكتشفوا أنه إذا قام الرجل بإجابة خاطئة من أي سؤال لا تستطيع المرأة أن تصحح له الإجابة إذا كانت تعرفها لأن ذلك

يعتبر نوعا من عدم الاحترام .

ولذلك أدرك القائمون علي هذه الفصول ضرورة الفصل بين فصول النساء والرجال ، ولكن كانت هناك صعوبة تتعلق بموافقة الرجل على إرسال نسائه وبناته إلى هذه الفصول .

* كما أن من الصعوبات أيضا التي قابلت النساء ضيق الوقت ، فالمرأة يقع عليها العديد من المهام كخدمتها للأسرة والعمل داخل وخارج المنزل خاصة وضع المرأة في القرى ، ذلك لأنها تقوم بالزراعة مثلها مثل الرجل تماما، وقد تغير وقت الفصول الدراسية إلى ما بعد العشاء ولكن وجدوا المرأة تكون أرهقت ومتعبة من أعباء اليوم الكثيرة .

* بالإضافة إلى أن عدد الرجال المتعلمين يفوق عدد النساء وبالتالي فإن استفادة الرجال من التعليم أكثر من النساء ومفضل للمجتمع عن النساء .

ولقد كانت هناك بعض الطرق القديمة التي يستخدمها الرجال الكبار الشيوخ في القرى ، كانوا يستخدمون قطعا من الصخور أو الأحجار وعن طريقها يقوم بعمل بعض الحسابات من خلال عد تلك القطع ، وعندما تم إسناد هذا الأمر إلى من هم أصغر سنا من الشباب قاموا بتلك العمليات الحسابية ذهنيا وبدون استخدام تلك الطرق التقليدية ، وأن هذه الأمور بعد ذلك أصبحت تسند للشباب من الرجال وليس النساء

* بالإضافة لتلك الصعوبات السابقة في كيفية حصول المرأة علي ذلك التعليم فإننا نضيف إليها صعوبات تواجهها من أجل التطبيق فإنه أيضا من الصعب أن يكون ذلك التعليم مؤثرا من جانب المرأة علي المجتمع أو أن يقوم ذلك التعليم الذي حصلت عليه بعمل أي تغيير في الجانب الاجتماعي أو الاقتصادي ذلك لأن تلك الأعمال والمجالات المؤثرة في الجانب الاجتماعي ليست في دائرة اختصاصات المرأة على الإطلاق في ذلك المجتمع ، ذلك لأن القرارات التي تكون المرأة مسئولة عنها هي القرارات المتعلقة بالمنزل والحياة اليومية وبعض أمور الزراعة وتربية الأطفال ، بعض الأمور الاجتماعية وبعض الأعمال التجارية البسيطة ذات النطاق المحدد .

* كما أن الرجال في أغلب الحالات يمتنعون ويرفضون أن تذهب زوجاتهم لتلك الفصول التعليمية وحتى في الحالات التي يوافق فيها الرجال على أن تذهب زوجاتهم

لتلك الفصول التعليمية فإن هذا لا يعني أن هؤلاء النساء قد حصلوا على أي قدر من السيطرة أو السلطة ، بل أن الأمور لا تتغير.

* أن القائمين على هذه العملية التعليمية يرون أن تعليم المرأة سوف يكون بمثابة التحرير بالنسبة للمرأة وسيحدث تغيرات كبيرة ، لكن القوى السياسية المتواجدة في تلك المجتمعات علي درجة عالية من الرفض والحرص على عدم حدوث أي تغيرات في تلك الجوانب السياسية ، وبالتالي فإن قادة تلك المجتمعات ورؤساءها يقبلون فكرة تعليم المرأة وذلك بغرض واحد هو تحسين حالتها الشخصية، ولكن ليس كوسيلة من أجل تغيير الأوضاع أو السلطة بين الرجل والمرأة ، لذلك نجد أن القائمين على تلك البرامج يقولون : أن تلك البرامج سوف تؤدي إلى تحسين المرأة وجعلها أفضل في تلك الأعمال والمجالات المخصصة لها في تلك المجتمعات ، أي أنها سوف تصبح أفضل في عملية الطهي والطبخ أفضل كزوجة ، وأفضل كمزارعة، وليست وسيلة تكسب من خلالها المرأة الأموال أو تغير نظم السيطرة والحكم بينها وبين الرجل ، فمن هنا أصبحوا ينظرون إلى ذلك التعليم للمرأة على أنه أحد الأمور المتوافقة مع متطلباتهم وحاجاتهم .

* يتضح لنا هنا أن عملية تعليم الكبار وخاصة الفتيات والسيدات لابد وأن يتم بدرجة عالية من الحذر ، كما أنه يتضح لنا أن عملية الحصول على ذلك التعليم ليست من الضرورة أن يتبعها بعض الأمور أو المتغيرات المتعلقة بالجانب الاجتماعي والاقتصادي ، حيث إنه من الواضح أنه حتى مع حصول المرأة على التعليم واكتسابها مهارات تعليمية فإن هذا في أغلب تلك الأحوال لا يؤدي إلى تبعيات أو تغيرات اجتماعية أو اقتصادية خاصة في القرى .

فإن تعليم الرجال (محو الأمية) هو أكثر ارتباطا بالمنافع الاجتماعية والاقتصادية التي يتم تحقيقها في تلك المجتمعات ، وإن أهم ما تستفيد منه المرأة من فصول تعليم الكبار هو عمليات الاختلاط بالآخرين من خلال تلك الفصول ، وأن تتاح الفرص أمامهم لتحسين أوضاع حياتهم وتكون لديهم ظروف حياة وظروف معيشة أفضل من تلك التي يعيشونها خاصة في القرى .

ولكن لا تستطيع المرأة أن تتغير أو تغير من ظروف حياتها إلا مع حدوث تغير شامل

ليس للمرأة أو أحوالها فحسب بل للنظام الاجتماعي ككل وأيضا في السياق الاقتصادي الخاص بالمجتمع فالمرأة لا تستطيع أن تقوم بالتغيير في تلك المجتمعات مادامت هناك قوى كبيرة مضادة تحاربها وهي القوى المجتمعية التي تقف في وجه النساء [1].

يتضح لنا مما سبق فى هذا الجزء من الدراسة ، أنه لا تقسيم لمراحل الطفولة المتعارف عليها :

مرحلة الرضيع و الطفولة المبكرة والطفولة المتأخرة ، لا يحظى الطفل بأي ميزة من ميزات هذه المراحل إلا مرحلة الرضيع فهو يأخذها كاملا وأكثر من اللازم كما أوضحنا ، فأن الطفل يظل رضيعا إلى سن ثلاث سنوات ، وبعض الأسر يظل الطفل إلى سن أربع سنوات ثم يبدؤون في فطامه وهذا يؤدي بالطبع إلى طفل ضعيف يعاني من سوء التغذية وعرضه لكثير من الأمراض ، وذلك لأن هناك أطعمة كثيرة لابد أن يتناولها الطفل في المراحل الأولى من نموه ولا يكتفى بثدي الأم ، وخاصة أن الأم نفسها تعاني من سوء التغذية .

ويترك الطفل لرعاية الإخوة والأخوات الكبار وخاصة البنات ويأكل مما يأكلون ويفعل أفعالهم ويكون الطفل لاهيًا بدون حماية إلا من الأخت الكبرى وفي الغالب هذه الأخت الكبرى لا تتجاوز الخمس سنوات في أغلب الأسر فأي حماية توفرها هنا لهذا الصغير، فالأطفال في هذه المرحلة معرضون لأخطار كثيرة في غياب الأم أو ما ينوب عنها من الراشدين .

ومن سن خمس سنوات يبدأ الطفل ينخرط في عالم آخر ، فالبنات تصبح سيدات صغيرات تحمل أعباء المنزل في مساعدة الأم وتحمل مسئولية الأخ الأصغر والأولاد في هذه السن يذهبون إلى الحقل لأداء أي عمل مع الأب فهم يعملون عمل الأب (مزارع – حداد – صياد) فهو هنا أصبح رجل صغير إلى أن يصل إلى سن العاشرة نجد الطفل يتحمل مسئولية نفسه في العمل ومسئولية من في المنزل أيضا .

(1)women and literacy in rural Mali : (2003)a study of the socio- economic impact of participating in literacy programs in four villages - international journal of education development - PP : 439 – 458

أما التعليم فنجد إنه يأتي حسب رغبة الأب وحسب قدراته المادية ، وهو تعليم ديني في المقام الأول وفي الكُتاب ولا يبدأ قبل سن السابعة فنجد طفلا في المرحلة الأولى الابتدائية عمره سبع سنوات وبجواره طفل آخر في نفس المرحلة عمره عشر سنوات لا يوجد سن محدد لدخول المدرسة ، وهذا ما يحدث في القرى إلى الآن ، وتحديد سن الالتحاق بالمدرسة من اختصاص العاصمة (باماكو) فقط وأطفالها أما القرى أو المدن المجاورة فالتعليم فيها حسب رغبة الأب وقدراته المادية .

وعندما ينخرط في التعليم نجد أن هناك اختلاف في سن الالتحاق للمدرسة في القري عن العاصمة نجد أيضا اختلافاً في طبيعة التعليم ونوعيته في القري عن العاصمة ، بل إنه في العاصمة نفسها هناك أكثر من نوع من التعليم ، هناك فجوة بين متطلبات وسياسية الدولة في مجال العمل ورغبات الأهالي في التعليم.

كما أننا نجد أن الفتاة لاحظ لها في التعليم وخاصة في القرى ، أما العاصمة فهي تحظى بالتعليم إلى المرحلة الابتدائية فقط وبعد ذلك تجلس في المنزل للتدريب علي أعمال المنزل وتجهيزها للزواج .

إن المرأة في مالي مكبلة بالعادات والتقاليد والأعمال المنزلية والحقلية وتحمل مسئولية الأسرة بالكامل ، وبالرغم من هذه المسئولية التي على كاهل المرأة فهناك الرجال أنفسهم يقولون : «لولا المرأة لمات الرجال جوعا في مالي » بالرغم من ذلك لا تحظى بالاهتمام الكافي لا من الرجل ولا من المجتمع والدولة ، لا تحظي بالمعاملة الكريمة التي أقرها لها الإسلام في حفظ حقوقها وكرامتها ، فهي لا تعترض ولاتثور ولا تغضب عندما تعاقب بالضرب ، ولا تعترض عندما يتزوج زوجها بالثانية والثالثة ، فتعدد الزوجات يقره الشرع والعادات والتقاليد والدولة ، ولا يؤخذ رأيها حتى في أولويات حقوقها في الرجل الذي سوف تتزوجه ولا يؤخذ رأيها في زوج ابنتها ولا زواج ابنها ، ليس لها رأي أو تدخل في أي شيء إلا إذا كان يتعلق بالرضيع أو شئون المنزل أو الطعام أو زراعة الحقل الخاص بها ، أما في غير دلك فهي لا وجود لها .

لابد من برنامج توعية للمرأة في مالي وخاصة في القرى ، لابد من توعيتها بحقوقها وواجباتها وتوعيتها بأمور الدين الإسلامي الصحيح وأحكامه لكي تستطيع الحفاظ على

حقوقها وكرامتها ، حقوقها في أن تتعلم وتعلم ابنتها وتصر على تعليم الابنة حتى لا تصبح مثلها ، هذه الفتاة الصغيرة إذا نالت القسط الوافي من التعليم والتوعية بأمور الدنيا والدين فسوف تصبح زوجة وأماً صالحة ليس لأسرتها فقط وإنما للمجتمع ككل .

أثر الإسلام فى التنشئة الاجتماعية فى البمبارا :

كافة الدراسات العلمية والبحوث في مجال العلوم التربوية تؤكد ما للقيم الإسلامية من أثر فاعل في عملية التنشئة الاجتماعية فالقيم هي التي ترسم وجهة السلوك وتحدد إمكانات التفاعل فهي مكمن قوة وشدة السلوك السوي، وهي تطبع الإنسان على عناصر الحضارة، فالحضارة لا تنطلق إلا وتحددها مجموعة من القيم وهي أسلوب الحياة المتصل بالدين، فإن تربى الفرد في بيئة تقية نقية عرف الورع، وعمر قلبه بالإخلاص، ونفسه بالأثرة، وسلوكه بالاعتدال، وعقله بالوعي، وكلها أسس سليمة من معطيات الدين الحنيف ، حيث أن الدين الإسلامي دين هداية للبشرية جمعاء، ففيه الخير والصلاح، فإن تمسكت به البيئة الطبيعية للطفل «الأسرة وتوابعها وما يحيط بها» واستقامت عليه، فحتما ستبلغ ما أرادته في تربية أطفالها .

وعملية التنشئة الاجتماعية في منهج الإسلام متعددة الأبعاد ومن أهمها: الاحترام المتبادل بين الأفراد، ومراعاة المصلحة العامة، والتكامل والتعاون بين أفراد المجتمع، والولاء والانتماء لأمة الإسلام، والقدوة الحسنة من جانب الكبار للصغار ولهم جميعاً في الرسول العظيم محمد صلى الله عليه و سلم الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ الأحزاب:٢١، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٢٨ سبأ].

لقد اهتم الإسلام اهتمامًا بالغًا بالطفولة باعتبارها صانعة المستقبل المنشود للأمة ونجد ذلك واضحًا في الآيات القرآنية الكريمة، مثل: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [سورة الكهف آية: ٤٦].

﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ [سورة الإسراء : ٦].

وتبرز أهمية السنة النبوية بموضوع الأطفال والطفولة وخاصة المتعلق بالتنشئة

الاجتماعية منذ اختيار الزوجة الصالحة ومرورًا بتسمية الطفل باسم حسن والاهتمام برعايته وإرضاعه والحرص على بناء شخصيته في جوانبها الاجتماعية والنفسية والفكرية والأخلاقية.

هذه القيم السامية التي جاء بها الإسلام لاتدانيها شريعة أخرى في القوانين الوضعية، فمنهج الإسلام يقوم على الوسطية والاعتدال دونما إفراط ولا تفريط.. ودونما إسراف ولا تقتير ودونما عسر في التكاليف ونجد أن اليسر في كل شيء.

نرى تأثير الإسلام فى التنشئة الاجتماعية واضحاً عند قبائل البمبارا منها :

الإسلام والأسرة والزواج عند البمبارا

عندما جاء الإسلام بتعاليمة لاقى قبولا مع عادات وتقاليد البمبارا ، فقد حث الإسلام على أهمية الأسرة والزواج وتربية الأطفال وقد أولى الأسرة أهمية كبيرة فى تربية الطفل وأهمية المرأة ويعمل الإسلام على الترابط الأسرى ، وهذا ما يدعوا اليه البمبارا فهم يهتمون الأسرة والزواج وتربية الأطفال، الإسلام هنا يتماشا مع التقاليد والمعتقدات التقليدية ، وأيضا فى مسالة تعدد الزوجات فهى من العادات والتقاليد عند البمبارا أكثر منها شرعاً وتدخل الإسلام فقط فى تحديدها بأربع زوجات يمثل الزواج وتكوين الأسرة لدى البمبارا أهمية كبرى سواء تقليديا أو إسلاميا.

يكون الاختيار للزوج في البمبارا من قبل العائلة ، أي أن العائلة هي التي تقوم بترشيح الزوجة المناسبة والتي يقبلها الابن دون مناقشة ، ويحكم الإسلام بقوة قواعد هذا الزواج ، ولكن في هذا المجتمع تكون المرأة أقل اعتمادا علي ، الزوج بل العكس فإن الأزواج هنا هم أكثر اعتمادا على زوجاتهم . فالزوجة تقوم بأعباء كبيرة في ترابط الأسرة وعليها العناية بالصغار والعناية بأفراد الأسرة وخاصة في ظل نظام الأسر الممتدة ومن الممكن أن تصل الأسرة الواحدة إلى خمسون فرداً أو أكثر في منزل واحد وخاصة في القرى والزوجة أيضا تساعد زوجها في الزراعة بالإضافة إلى زراعة الحقل الخاص بها [1] كما سبق.

(1)Encarta Interactive world Atlas . customs of Mali 8 – 12 – 2008

ولا يزال نظام تعدد الزوجات هو الشكل السائد ، ولكن الفرق هنا أنه طبقا للشريعة الإسلامية، ولكنها أقل استعمالا الآن بسبب كثرة الأعباء الاقتصادية ، بالإضافة إلى أن النساء في المدن بدأت يرفض هذه العادة ورفض وجود زوجة ثانية أو ثالثة أو رابعة إلا أن مازال هذا النظام سائدا عند البمبارا وخاصة في حالة عدم إنجاب ذكور ، ومن أسبابه أيضا أن المرأة الحامل تمتنع عن زوجها من الشهر السادس للحمل إلى سن فطام الصغير ، وهذا يؤدي إلى تعدد الزوجات ، لأن الزوجة تمتنع عن زوجها مدة لا تقل عن عامين أو أكثر اعتقادا منهم بأن اللقاء الزوجي يضر بالحمل ثم بعد ذلك يضر بلبن الصغير ، هذه عادات قبل الإسلام وبعده

والزواج هنا له أهمية كبيرة ، حيث أن العائلات تزداد كبرا بسبب الزواج وبسبب الإنجاب وذلك لأن وجود أطفال كثيرين يجعلهم يقدمون المساعدة الأكثر لآبائهم، كما أن آباءهم يأملون في ذهابهم إلى حقول العمل بدلا عنهم عندما يتقدم بهم السن .

إن طقوس الزواج هي أهم الطقوس في الدورة الحياتية ، ويترتب عليها العديد من الاحتفالات والكثير من التجهيزات ، وقد يستمر كبير الأسرة في إعداد الزواج للشاب منذ صغره ، لأنه يتطلب نفقات كثيرة وعالية من جانب الزوج والزوجة والأسرة والأصدقاء ، إلى جانب تقديم الهدايا العينية أو المادية من أسرة العريس إلى أسرة العروس مما يشكل مزيداً من الضغط المالى علي العريس وأسرته[1] .

ولابد أن يمر الاحتفال بالزواج بالطريقتين التقليدية والإسلامية وخاصة في القرى كما سبق ، أما في المدن فأنهم يفضلون الزواج المدني أي الإسلامي ، فقط ويرجع ذلك إلى خفض نفقات الزواج ، لكن من لديه الإمكانات المادية عليه أن يحتفل بالزواج على الطريقتين التقليدية والإسلامية ، أما في القرى فلابد من الطريقتين .

الإسلام والمرأة في البمبارا :

في إطار المبادئ التي دعا إليها الإسلام من الديمقراطية والمساواة فقد رفع الإسلام من شأن المرأة وغير النظرة التي كانت تنظر إلى المرأة في ثقافات وأديان ومجتمعات

(1)http://www.everyculture.com / Ja.Mali.htm 27-1-2009

أخرى . نجد أنه برغم الدور التي كانت ومازالت تقوم به المرأة إلا أن النظرة إليها قديما كانت متدنية وينسب إليها بعض الأخطاء أو الأعمال المنافية للإنسانية ، نجمل بعض هذة الأخطاء القديمة التي كانت تنسب إلى المرأة ورد الإسلام عليها :

١- لم يكن لإنسانية المرأة موضع اعتبار لدى الرجل فلم يكن لها دور معلوم تسهم به في تنظيم المجتمع وقد هبط بعضهم بها حتى كانوا يتدارسون فيما بينهم : هل المرأة إنسان له روح أو هي حيوان نجس لا روح له؟ هذه النظرة كانت موجودة في الصين القديمة حتى كتبت إحدى سيدات الطبقة الراقية تقول « نشغل نحن النساء ، آخر مكان في الجنس البشرى ، ويجب أن يكون من نصيبنا أحقر الأعمال»[١] .

٢- أنها لم تكن لدى كثيرين أهلا للتدين والتخلق بالفضيلة كما ذكر في أساطير مانوفي الهند « عندما خلقت النساء فرض عليهن حب الفراش والمقاعد والزينة والشهوات الدنسة والغضب والتجرد من الشرف وسوء السلوك ، فالنساء دنسات كالباطل ، وهذه قاعدة ثابتة » وكانت المرأة بناء على ذلك تخاطب زوجها في خشوع قائلة يا مولاي ، وأحيانا يا إلهي وتمشي خلفه بمسافة ، وقلما يوجه لها هو كلمة واحدة طيبة»[٢] .

٣- انعدام المساواة بين الابن والبنت في نطاق الأسرة كما كان موجوداً عند العرب القدماء وقدامى الصين وانعدامها أيضا بين الزوج والزوجة كما هو في الهند ، فقد كان العرب قبل الإسلام يئدون البنات .

٤- إهدار شخصيتها القانونية أو أهليتها للتصرف الاقتصادي ، فهي غالبا كانت لا تملك ولا ترث، ولم يكن لها دور في بيع أو شراء أو أي شئ من الشئون الاقتصادية والاجتماعية .

إذا أجملنا هذه الأخطاء نجد أن السبب الرئيسي لها هو النوع (أنوثة المرأة) بالإضافة إلى أن مقتضيات الحياة البدائية كانت السبب الأساسي لهذه الأخطار ، ولقد كان من حكمة الإسلام وأصالته أنه حين عرض لتقرير مكانة المرأة في الحياة أعلن إنسانيتها التي تستوي فيها مع الرجل كما أعلن وصفها الخاص الذي تنفرد به عن الرجل

(١)البهي الخولي الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة ، ط٣ ، دار القلم ، كويت ، بدون سنة نشر ، صـ ١٠ .
(٢)المرجع السابق ، صـ ١٥ .

باعتبارها أنثى .

كما يشير إلى المرأة ومكانتها بالنسبة للرجل ما ذكره توماس جيفرسون ، أن هذه المكانة متدنية عن مكانة الرجل وأنها أي المرأة لابد أن تكون في خضوع لما يريده الرجل عقابا لها عما ارتكبته حواء في الماضي عندما أخذت بنصيحة الثعبان وتناولت الفاكهة المحرمة لأن آدم وجميع الرجال من بعده ينظرون للمرأة على أنها السبب في النزول إلى الأرض .

نجد أيضا Dan Agbese in The Nigerean outlook وهي نظرة نيجيرية مسيحية تنادي بإسكات النساء في الكنائس قائلة : دعوا النساء تسكتن في الكنائس لأنه ليس مسموح لهن أن يتحدثن لأنهن ذليلات ، بينما يبقيا القانون على ذلك فإذا كانت النساء ترغب في أن تتعلم شيئاً فإن عليهن أن يسألن أزواجهن في المنازل ، لأنه من المخزي أن تتكلم النساء في الكنائس[1] .

أما سيمون ديبوفوار عام ١٩٧٤م فقد ذكرت أن المرأة اتجهت في الأعوام الأخيرة إلى الدراسات العليا وهذا يشير إلى التحول والتغير بعد الرؤية القاصرة من الرجال نحو النساء ، تلك النظرة التي كانت سائدة في معظم الثقافات ، ولكن الإسلام مختلف عن معظم الأديان والثقافات الأخرى من حيث التركيز على السلوك القويم من المرأة وتوفير الحماية للمرأة من الأزواج والأغراب ، حيث أن ثلث التعاليم القانونية في القرآن تتناول المرأة والأسرة في المزارع والحقول وملكيتها أرض تزرعها باسمها « هذه الأرض التي تزرعها باسمها هي عبارة عن بستان قريب من المنزل تقوم المرأة بزراعته لاستكمال متطلبات الغذاء حيث أن رب الأسرة لا يهتم إلا بزراعة الحبوب وأساسيات الطعام فقط أما باقي احتياجات الأسرة من طعام فتقوم الأم بتدبيره بمعرفتها وعلي نفقتها وبجهودها ، ويتم ذلك في زراعة بستان صغير قريب من المنزل » هذا بالإضافة أيضا إلى مساعدة الزوج في زراعة الحقل الكبير كما سبق .

أن المرأة في مالي والبمبارا لديها دخلها الخاص تستخدمه وقت الاحتياج . ففي

(1) Barbara Callaway & Lucy Creevey (1994) » The Heritage of Islam : women ، Religion ، and Politics in West Africa ، P. 29 -35

موسم الجفاف تذهب النساء إلى الأراضي المتميزة التي بها محاصيل وتعمل مقابل أجر على جمع المحاصيل والزراعة في هذه القرى وتعود بالعائد وتدخره إلى وقت الاحتياج ، هذه العوائد توفرها المرأة من أجل شراء المواشي اللازمة في أعمال الفلاحة وكثير من الزوجات يبيعون الأقراط من أجل شراء المواشي ، إذا كانت الزوجة من أسرة مرموقة فإنها تمثل الدخل الكبير لمنزل الزوج .

ونظراً للأهمية الكبيرة للمرأة في مالي والبمبارا وخاصة في القرى نجد أن المجتمع يتعرض لأزمات كثيرة في حالة وفاة المرأة . لاسيما عندما تكون المرأة المتوفاة هي الوحيدة القادرة على العمل ، والصعوبة الأكبر إذا كانت الأسرة فقيرة وليس لديها أبناء ذكور أو أن يكون كل أبنائها إناث صغيرات لا تستطيع العمل في الحقل والزراعة وعملهن داخل المنزل فقط .

تظل الأسرة وحدة متماسكة وشديدة الارتباط بعضها ببعض طالما أن الزوجة موجودة ولديها أبناء من الذكور والإناث أو من الذكور فقط وفي حالة عدم وجود إناث فإن الزوجة تستعير إحدى البنات من الأسرة لمساعدتها ولكن في حالة عدم وجود الأبناء يتزوج الأب مرة أخرى .

ما تزال المرأة في البمبارا شأنها شأن كثيرات في إفريقيا تخضع وتتحكم فيها العادات والتقاليد الموروثة عن الآخرين ، وإن كانت تلك العادات مزيجا بين ما هو قديم وجديد ، ديني ولا ديني ، قومي أصيل ومستورد دخيل ولا اعتبار للمرأة إلا إذا انتظمت في سلك تلك العادات وتمثلتها وخضعت لها وأسلمت لها الأحاسيس والمشاعر ، كيف لا وهي نشأت عليها ودرجت عليها ، لذلك تراها لا تثور إذا عدد زوجها عليها الزوجات بلا حدود أو إذا لم يشاورها في أمر من أمور الأسرة أو إذا انتقلت ميراثا للابن الأكبر بعد موت أبيه مادامت العادات والتقاليد تقضي بذلك[1] .

وقد سألت أحد الإخباريين وهو متعلم عندما أخبرني : بتعدد الزوجات هل الزوجة لا تعترض أو تثور أو تغضب من ذلك التعدد ؟ فأجابني : هل لها أن تعترض على التقاليد ؟، فتعترض أو تغضب ولكن ليس أمامها في النهاية إلا الموافقة ، هذه عاداتنا وتقاليدنا .

(١)السيد / شيرتو هادي عمر تيام ، الإسلام في الدولة العلمانية مالي ، مرجع سابق ص ص ٥٩ – ٦٨ .

إن المرأة البمبارية محاصرة ومكبلة بالتقاليد والعادات ، ولا سبيل للخروج منها إلا بوعي قومها والمجتمع المحيط بها وتوعيتها توعية إسلامية صحيحة تتيح لها ممارسة حقوقها الإنسانية الإسلامية المهضومة ، لأن الإسلام جاء إلى إفريقيا وتمكن من بعض مناطقها منذ زمن بعيد ولكن تمكنه كان ولا يزال في العبادات لا غير ، أما تنظيم العلاقات الاجتماعية والحكم فإن تمكن الإسلام في هذين المجالين ضئيل جدا إلا ما كان أحوالا شخصية من عقد نكاح أو عقيقة أو طلاق.

جاء الإسلام إلى البمبارا والناس على عادات وتقاليد ولهم طقوس ورثوا بعضها عن الآباء والأجداد وبعضها من الطبيعة الاجتماعية ، فلا يرون بها بأسا ، بل يفتخرون بها ويحافظون عليها لأنها من التركة

نذكر من هذه العادات :

بالإضافة إلى ما ذكرنا من تعدد الزوجات ، أو السماح للرجل بجعل زوجة الأب غير الأم زوجة للابن بعد موت الأب ، يوجد أيضا في كل جنوب مالي كثير من الغابات المقدسة هذه الغابات ممنوع على النساء دخولها وكذلك ممنوع فلاحتها أو قطع أشجارها ، هذه الغابة موجودة في شرق سيقو وهي المحافظة الثالثة في مالي ، وموجود مثلها منتشر في جنوب مالي كلها ولها نفس الدرجة من القدسية .

أما عن عمل المرأة وخاصة النساء القرويات كما هو قبل الإسلام وبعده فأن ساعات العمل تصل إلى ١٧ ساعة في اليوم بالإضافة إلى الاعتناء بشئون الأولاد من إرضاع وتربية، فيقول الشيخ شيرنو هادي عمر تيام « لولا النساء لمات الرجال عندنا جوعا ، لأن المنتجات الزراعية من عرق جبين النساء »[1] وحقوق المرأة عند هؤلاء القرويات تنحصر في الحق في الزواج وإنجاب الأطفال وتربيتهم والحق في العمل.

في مجال التعليم :

كان للإسلام أثرا واضحاً في التعليم وخاصاً للأطفال والتحاقهم بالكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم ومدى حرص الآباء على ذلك ولا يتم إلحاقهم بالمدارس النظامية ، فأن قبائل

(١)المرجع السابق صـ٦٢ .

البمبارا تفضل أن يتعلم الطفل التعاليم الإسلامية (فقه وأحاديث وحفظ قرآن) على التعاليم النظامية ، علما بأن هذا التعليم الذى يتم فى الكتاب ليس من اجل شهادة ، فهو من اجل العلم والمعرفة فقط . هذا ما زال يتبع إلى الآن فى التعليم فى قبائل البمبارا وغيرها فى القرى حيث أن التعليم مختلف فى القرى عنه فى باماكو العاصمة كما أوضحنا سابقاً .

وإذا نظرنا إلى أثر الإسلام فى التعليم عاماً فى دولة مالى نجد أن المدارس العربية احتلت مكانة كبيرة في النظام التعليمي فقد كانت نسبة التلاميذ في مالي في هذه المدارس عام ١٩٩١ حوالي ١٤ ٪ من التلاميذ المسجلين في النظام التعليمي في مراحل الابتدائي والإعدادي والثانوي ، وهذا في وقت وصل فيه التعليم الفرنسي في مالي مكانة كبيرة بالإضافة إلى مكانة اللغة الفرنسية كلغة رسمية للدولة .

وقد اتجهت السلطات منذ الثمانينات إلى إجراء إصلاحات في المدارس العربية لتواكب التعليم العام وذلك بوضع مناهج مشتركة تقسم العلوم الدينية والعربية إلى جانب العلوم الاجتماعية والعصرية مثل الرياضيات والفيزياء والكيمياء حتى يستطيع من يحصل على الشهادة الإعدادية أو الثانوية من التلاميذ أن يتحول إلى التعليم العام لمواصلة دراسته في أحد التخصصات .

وكان نتيجة ذلك افتتاح قسم للغة العربية في مدرسة المعلمين بالعاصمة باماكو منذ عدة سنوات ، وقد تخرج منه أعداد لا بأس بها من الطلاب الماليين الذين نالوا فرصة متابعة تعليمهم في الدول العربية ، مما سيكون له أثر إيجابي في ازدهار الثقافة العربية والإسلامية واحتلال الإسلام لمكانته اللائقة سواء على الصعيد الثقافي أو الاجتماعي[1] .

وقد استطاعت الباحثة أن تقيم مقابلات مع بعض الطلاب الماليين ، المقيمين في مصر للدراسة وبالتحديد في جامعة الأزهر بكلياتها المختلفة التربية والتجارة وغيرها ، وحظيت الباحثة بفرصة الاحتفال معهم بعيد الأضحى المبارك في سفارة مالي بالقاهرة . حيث يصل عدد البعثة الطلابية في القاهرة تقريبا ١٥٠ طالباً في مراحل مختلفة من التعليم الجامعي بالإضافة إلى أبناء العاملين بسفارة مالي في مصر فإنهم يدرسون في المدارس المصرية (الخاصة) .

(١) إبراهيم انجاي « الإسلام في دولة مالي » ، مرجع سابق صـ ٣٢٠ .

التحديات الحالية التي يواجهها الإسلام :

يشهد الإسلام في مالي في الوقت الحالي تحديات عديدة ، منها ما يرجع إلى الاستعمار ومنها ما يرجع إلى الإسلام نفسه .

فأما الذي يرجع إلى الاستعمار فهو ازدواجية الثقافة الإسلامية والفرنسية والغزو الفكري الغربي [1] أما بالنسبة لازدواجية الثقافة الإسلامية والفرنسية ، فإننا نجد أن الثقافة الإسلامية يرجع انتشارها في مالي إلى بداية انتشار الإسلام نفسه كدين وحضارة ، وقد تمثل التأثير الثقافي للإسلام في تطور التعليم الإسلامي والعربي في مالي قديما وحديثا ، ومنذ أن سعى المستعمر الفرنسي إلى نشر ثقافته وتشجيع أبناء البلاد على التمسك بها ومحاولة القضاء على الإسلام وثقافته بدأت المنطقة تشهد ازدواجية الثقافة ، واستمر هذا الوضع بعد الاستقلال حيث كان على أبناء المسلمين أن يتزودوا بالثقافة الفرنسية حتى يضمنوا لهم أماكن بين الصفوة وكاد هذا الوضع أن يؤدي إلى صراع ثقافي بين أبناء الدولة أنفسهم ، إلا أن الإصلاحات الأخيرة في التعليم العربي الإسلامي أتيحت فرصة لاستيعاب منجزات الثقافة الغربية عامة دون الإخلال بالجانب الإسلامي [2].

لقد أخبرني الطلبة المقيمون في القاهرة أنه كان لزاما عليهم لكي يلتحقوا بالتعليم الثانوي الذي هو بوابة الدخول إلى الجامعة أن يدرسوا عاما باللغة الفرنسية قبل التحاقهم بالثانوي ، ذلك لأن دراستهم السابقة كانت دراسة إسلامية باللغة العربية.

أما قضية الغزو الفكري العربي فهي ملتحقة بازدواجية الثقافة ، وهو من أخطر التحديات التي تواجه الإسلام على مستوي العالم ، وآن آثار هذا الغزو الفكري ما يتردد بين الجهة والأخرى من صيحات التنكر لبعض المبادئ الإسلامية كأنها نزلت لتوها وليس منذ أربعة قرنا ، ولعل أخطرها مطلب رجع به الوفد النسائي الذي مثل مالي في مؤتمر بكين ١٩٩٦ وهو « المساواة في الميراث بين الرجل والمرأة » ومطلب آخر هو « إلغاء عدة المرأة التي يتوفى عنها زوجها » ولكن استطاع ذوو العقول النيرة أن يتصدوا لمثل هذه المخاطر حتى الآن ، إلا أن الأمر يحتاج جهداً مضاعفا من الذين يشعرون

(١)المرجع السابق ص ص ـ ٣٢١ - ٣٢٣ .

(٢)أخباريين .

بالمسئولية أمام الله وتجاه دينهم وشعبهم .

أما التحديات الأخرى من الإسلام نفسه فهي انتشار المذاهب الإسلامية في مالي ، فمالي على المذهب المالكي منذ دخولها الإسلام ، ولكن في السبعينات بدأت تظهر الوهابية (نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب في السعودية) وهي تأتي بمفاهيم جديدة عن المسائل الفقهية تخرج عن المألوف عند المسلمين في مالي وهي عن الصلاة والزكاة وأركان الإسلام الأساسية ، ولم يقتصر الأمر علي المجادلة ولكن وصل الحد إلى تكفير بعضهم بعضا ، بالإضافة إلى ظهور الشيعة أيضا وهو ما ينذر بخطر جديد وتحد للإسلام نفسه، وهذا الأمر يؤدي إلى الشقاق بين المسلمين ولا يستبعد قيام مصادمات وأعمال عنف من شأنها أن تضعف من موقف الإسلام ذاته[1] .

ورغم التحديات التي يواجها الإسلام في الوقت الراهن إلا أن هناك مؤشرات تدل على أن مستقبل الإسلام في مالي يدعو للتفاؤل ، فمنذ سنوات برزت عدة ظواهر معينة تؤكد أن الإسلام سوف يكون له شأن في المستقبل.

ثم أن ظاهرة الجمعيات الإسلامية بدأت تتزايد في السنوات القليلة الماضية ومن أنشطتها نشر الوعي الإسلامي الصحيح بين أفراد الشعب ، والتصدي للهجمات الموجهة ضد الإسلام مثل جمعية عباد الرحمن ، الجمعية المالية للشباب المسلم ، جمعية خريجي المعاهد المصرية .

فلقد تخرج عدد كبير من الطلاب الماليين من الجامعات والمعاهد في البلاد العربية المختلفة وانخرطوا في أنشطة التوعية الدينية .

اتجاه عدد كبير من طلبة كليات التعليم الجامعي العام في مالي وإقبالهم على التمسك بالدين والسعي للنزول بالعلوم الإسلامية من المصادر التي توفر ذلك باللغة الفرنسية حتى يكون لهم فهم صحيح للإسلام وتشير في ذلك إلى طلبة كلية الطب .

أفاد كثير من أعضاء النخبة عامة الشعوب خاصة الذين لم ينالوا حظا وافراً من التعليم الإسلامي حيث حرصوا على الاهتمام بالندوات التي تنظمها الجمعيات

(١)المرجع السابق صـ ٣١٢ .

الإسلامية لتوعية المسلمين إلى جانب اهتمامهم بالاطلاع على مصادر العلوم الإسلامية باللغة الفرنسية[1] .

هذه مؤشرات تؤكد أن الإسلام كدين للسماحة والإخوة والتضامن لم تتغير مكانته في نفوس أفراد الشعب المالي وإن كانت هناك بعض الظروف التي أثرت في مكانته في بعض الفترات على الصعيد الثقافي .

(١)الشيخ شيرتو هادي عمر تيام ، الإسلام في الدولة العلمانية مالي ، مرجع سابق ص ٧٥.

obeikan.com